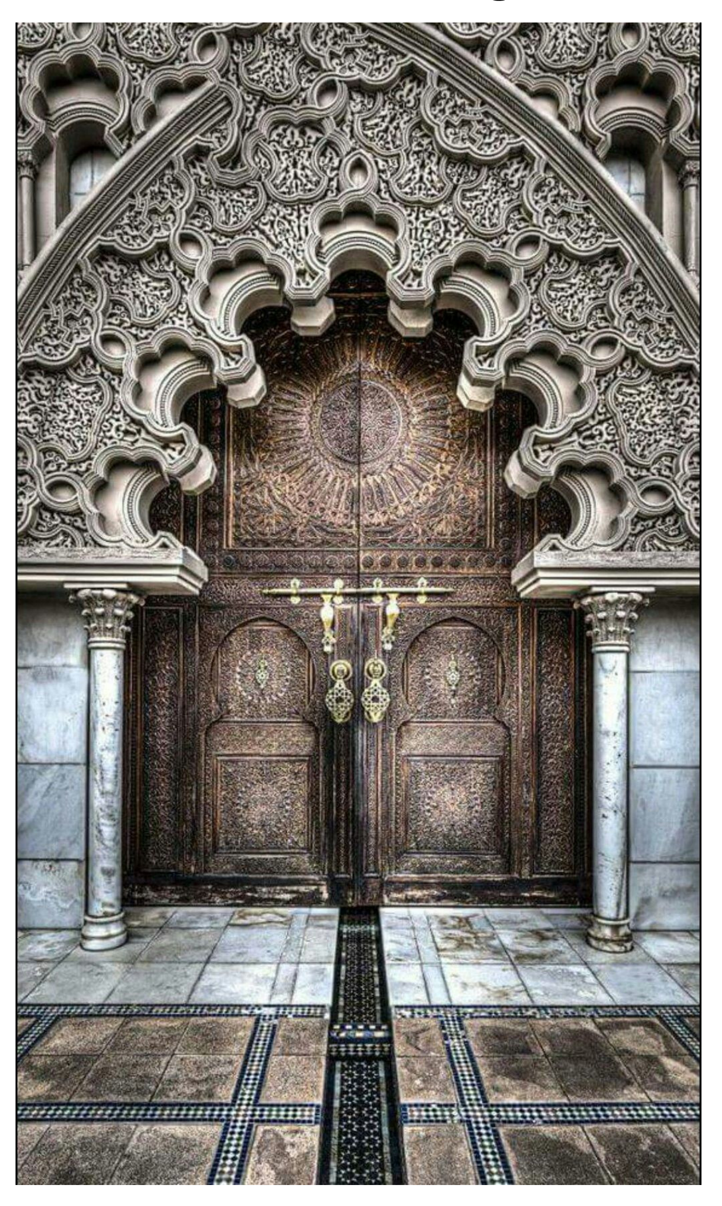
حكمة الحكايات الصوفية

تمرينات فلسفية



أوسكار برينيفيه

إيزابل ميون

ترجمة: فريق تحوت المصري

جدول المحتويات:

١/ رحلة فاطمة الطويلة

هل الحياة اختبار؟

كان أو ما كان، في سالف العصر والأوان، ابنةُ تاجرٍ كبيرٍ يعيش في المغرب تُسَمى فاطمة. في أحد الأيام، قرّر أبوها أن يصطحِبها معه في رحلة تجارة على الطرف الآخَر من البحر المتوسط قائلاً لها: "لعلَّكِ تجدين زوجاً طيباً". بعد أن عقد الأب بعض الصفقات المربحة، وبعد أن ظلت فاطمة تحلم بزوجِها المستقبلي، تحطمت سفينتُهما على السواحلِ المصرية. غرق الأبُّ ووجدت فاطمة نفْسَها ضائعةً وفي فقرٍ مدقع. ولحسنِ الحظ، وجدتها عائلةٌ من صانعي الأقمشة والحبال الفقراء الذين آووها وعلموها أصول صنعتهم. مرّت الأيام واستطاعت فاطمة أن تتصالح مع قدرِها البائس.

وفي أحد الأيام، عندما كانت تمشي حذو الشاطئ، وجدها أحد تجار العبيد الذي اختطفها بالقوة وأحضرها إلى اسطنبول. كان التاجر يعاملها بقسوة، وفاطمة المسكينة كانت تشكو بمرارة مما ساقها إليه القدر، وكانت تعيسة. حينما عرضت في السوق، رآها صانع صواري كان يبحث عن عمال وأشفق عليها لما تشعر به من حزن، فاشتراها لكي يعطيها حياة أفضل كخادمة لزوجته. وعندما وصل إلى منزله، عَلِم صانع الصواري بأنه قد أفلس بعد أن استولى القراصنة على قاربه الوحيد والشحنة التي كانت فيه. ولأنه لم يتبقَ له أي أموال لاستئجار عمال، شرع يصنع الصواري بنفسه وبمساعدة زوجته وفاطمة والتي لم تكن بالمهمة السهلة عليها. ولكي تظهر له عرفانها، عملت فاطمة بجد، وبعد فترة، ذاقوا حلاوة الرخاء من جديد. قرر مالكها أن يحررها لعملها بجد لديه، ثم جعلها شريكة له، وذاقت فاطمة طعم السعادة مرة أخرى.

وفي أحد الأيام، قرر التاجر أن يرسل فاطمة بشحنة صواري للجانب الآخر من البحار، لآسيا، كي يبيعهم بربح أفضل، ولكن السفينة التي كانت تقلها تحطمت في إعصار واستطاعت فاطمة بالكاد أن تنجو وتصل للبر. بكت فاطمة وانتحبت بسبب حياتها التي رأتها سلسلة من الكوارث المتوالية فكلما شعرت بالسعادة، تحطمت جميع آمالها وفقدت كل ما تملك. "لماذا علي دائماً أن أواجه البلاء؟" سألت نفسها وهي تبكي ممدة على الرمال. وعندما لم يجيبها أحد، وقفت وبدأت في المشي صوب اليابسة.

دون أن تدري، وصلت فاطمة إلى بلاد الصين، وهناك ولمدة قرون كانت تنتشر أسطورة تحكي عن أنه في يومٍ ما، سوف تأتي امرأة غريبة وتبني خيمة لإمبراطور تلك البلد التي لا يعرف أحد فيها كيف تُبني الخيم. ولكن كان هناك دائما أمل في أن تحقق تلك النبؤة ولذلك في بداية كل عام، ينتشر المنادون في كل البلاد معلنين أنه على كل النساء الغريبات التوجه مباشرة إلى القصر. وعندما رأى الناس فاطمة تصل إلى مدينتهم، أخبروها أن عليها الذهاب مباشرة إلى ساحة القصر، واصطحبوها إلى هناك.

وما أن وقفت أمام الإمبراطور، سئلت إن كانت تستطيع أن تبني خيمة فأجابت بنعم وطلبت حبالاً. ولكن لسوء الحظ لم يكن هناك حبال. ولكنها تذكرت عملها كحلاجة، فأخذت بعض الصوف وبدأت في صنع الحبال. ثم طلبت قماشاً ولم يكن هناك قماش، فتذكرت عملها كخياطة وبدأت في صناعة القماش. وفي النهاية طلبت بعض الأعمدة ولم يوجد هناك أعمدة فتذكرت عملها في الصوارى الخشبية وصنعت بعض الأعمدة بنفسها. وبعد أن تذكرت الخيم المختلفة التي رأتها وعاشت فيها، استطاعت أن تبني الخيمة.

عندما رأى الإمبراطور تلك الخيمة، انبهر بها، وكمكافأة لها وعدها أن يحقق كل أمانيها، فقررت فاطمة أن تتزوج أميراً شاباً وتبقى في الصين حيث أنجبت الكثير من الأبناء وعاشت في سعادة دائمة.

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- ما الذي يبحث عنه والد فاطمة بالدرجة الأولى؟
- ما الذي تأمله فاطمة من الحياة؟
- لماذا يلعب العمل دوراً هاماً في هذه القصة؟
- ما الذي تتعلمه فاطمة بمرور الوقت؟
- لماذا تنتهي حياة فاطمة المليئة بالمغامرات؟
- ما الذي ترمز إليه الصين في هذه القصة؟
- لماذا تحتاج فاطمة إلى زوج؟
- لماذا تكون البلاد البعيدة واعدة أكثر؟
- كيف تتصالح فاطمة مع قدرها؟
- ما الذي يرمز إليه غرق السفن في حياة فاطمة؟

تأمل

- هل العمل شيء أساسي في الحياة؟
- هل البؤس مفيد؟
- هل نحن ألعاب بيدي الصدفة؟
- هل الإنسان في الأصل وحيد؟
- هل الحياة بالضرورة اختبار مؤلم؟
- هل يجب أن يكون هناك هدف للحياة؟
- هل الجَلَد غاية أم وسيلة في الوجود؟
- هل الإنسان حيوان متذمر؟
- هل توجد عناية إلهية؟
- لماذا يريد الإنسان أن يغتني؟

٢/ الببغاء

هل نحن سجناء أنفسنا؟

كان لتاجرٍ ببغاء، وكان يبقيه في قفصٍ كبير. وقد كان الطائرعزيزاً عليه لأنه كان يجيد الكلام. وفي أحد الأيام، وبينما كان على التاجر أن يذهب إلى الهند، تلك البلد التي أتى منها الطائر، سأل الطائر عن الهدية التي يرغب فيها قلبه، أجابه الببغاء بدون تردد قائلاً: الحرية. فلما رفض الرجل، قال له الببغاء: "فلتذهب إذاً إلى الغابة التي تقع خارج البلدة، وحينما ترى ببغاوات على الأشجار، بلغهم أخباري، وأخبرهم بما حدث لي، وكيف أصبح محكوماً عليّ بالعيش في قفص. اسألهم أن يفكروا قليلاً بحالي حين يطيرون فرحين من شجرةٍ إلى أخرى."

وصل الرجل إلى الهند، وبعد أن انتهى من أعماله، ذهب إلى الغابة ولبى ما طلبه منه الببغاء. ولم يكد ينتهي من حديثه حتى سقط ببغاءٌ، يشبه إلى حدٍّ كبيرٍ ببغاءَه، على الأرض ميتاً إلى جوار الشجرة التي كان يقف عليها. لم يكن الرجل مسروراً لكونه تسبب في موتِ الطائر، وقال لنفسه لابد وأنه كان أحد أقرباء ببغائِه وقد صُدِمَ بالأخبار الحزينة التي سمعها.

ولما عاد الرجل إلى منزله، سأله الببغاء إن كان قد عاد بأخبارٍ سارَّة من بني جنسِه. "للأسف لا! أخشى أنه ليس لدَيَّ لك سِوى كلماتٍ مؤلمة. فإنه كما ترى، وكما طلبتَ مني، قد ذهبت إلى الغابة لكَي أبلغ رسالتك إلى الببغاوات هناك. ولكنني ما إن ذكرت ما أنت فيهِ من حبسٍ، حتى سقط أحدُ أقربائك أرضاً من فورِه."

لم يفرغ الرجل من تفوهِه بتلك الكلمات إلّا وقد هوى ببغاؤُه هو الآخر وسقط مصعوقاً إلى أسفل القفص.

"هذه الطيور حساسة للغاية، قالها التاجر في عقله متفاجئاً بما حدث. خبرُ موتِ أخيه قتله هو الآخر في حينه!"

حزيناً على فقد حيوانه الذي كان شديد التعلق به، التقط الرجل الطائر ووضعه على حافة النافذة في هذه الأثناء. ولكن في نفس اللحظة، انتفض الطائر وقد دبت فيه الحياة وطار إلى أقرب غصن. ومن هناك، نادى على التاجر لكي يشرح له ما حدث.

"ما حَمَلتَهُ أنت على أنه خبرٌ مؤسف كان في الحقيقة بشرى سارَّة: فقد كانت نصيحةً رائعة. من خلالك أنت، يا سجاني، قد اقترُحَت عليّ خطةً للهروب من قدري واكتساب حريتي. بل وإنها جعلتني أفهم الحقيقة التي تقول:'أنت في السجن لأنك تتكلم. كن ميتاً ولسوف تتحرر.'"
وهَرَب الببغاءُ بعيداً، حرّاً أخيراً.

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- هل يحتفظ التاجر ببغائه لأنه يحبه؟
- لماذا يطيع التاجر الببغاء؟
- هل توقع الببغاء تبعات طلبه؟
- ما الذي يميز الببغاوات المختلفة في هذه القصة؟
- ما الذي ترمز إليه رحلة التاجر؟
- لماذا يفهم الببغاء "القصة" أفضل من التاجر؟
- ماذا تعلم الببغاء في هذه القصة؟
- ماذا الذي يرمز إلى "الموت المحاكَى" في هذه القصة؟
- لماذا ببغاء هو بطل هذه القصة؟
- هل كان يمكن للبغاء أن يتصرف من تلقاء نفسه؟

تأمل

- هل نحن سجناء كلامنا؟
- ما هي الأسباب الرئيسية التي تدفعنا للكلام؟
- هل نحن واعون بطبيعة وعواقب كلماتنا؟
- لماذا يكون الصمت مؤلماً أحياناً؟
- هل يمكن للموت أن يكون ضرورة؟
- لماذا يفهم بعض الناس بينما لا يفهم آخرون؟
- هل نولد احراراً أم نصبح أحراراً؟
- هل يمنعنا الآخرون من أن نكون أحراراً؟
- هل يجب علينا أن نكذب لنكون أحراراً؟
- في أي الأمور لايزال الإنسان منفياً؟

٣/ الرّمان

هل المعرفة في حد ذاتها قوة؟

كان هناك شاب يدرس الطب مع معلم صوفي، وكان المعلم أيضا طبيباً. وبعد بضع سنوات من الإرشاد سأله الشاب:

-"معلمي، عندما يأتي المريض القادم، أرجوك أن تتركني أعتني به، أريد أن أثبت نفسي."

فأجاب المعلم:

-"لا أعتقد أنك مستعد بعد، ولكن دعنا نقوم بتجربة. سأدعك تعالج المريض القادم، ولنرى ماذا سيحدث."

بعد فترة وجيزة، وبينما كانا جالسين أمام الدار، شاهدا رجلاً يأتي صوبهم. فقال المعلم مباشرة لمريده:

-"إن هذا الرجل يبدو عليه المرض."

فنظر الطالب لمعلمه في ذهول وقال:

-"ولكن كيف عرفت ذلك؟"

- "انظر الى وجهه ولون بشرته"، ثم استطرد قائلاً: "إنه يحتاج إلى حمية الرمان حتى يشفى."

وعندما اقترب الرجل منهما، نهض الطالب ودنا منه قائلاً:

-"أنت مريض!"

- "أحقاً هذا!" رد الآخر. "أنا أعلم ذلك بالفعل! لأي سبب تظنني أتيت لرؤية الطبيب؟"

- "عليك بأكل الرمان" أمره الشاب.

فأعرب الرجل عن دهشته:

- "الرمان! ولماذا الرمان؟ أهذا كل شيء؟ لأسابيع لم أشعر أني بحالة جيدة!"

وانطلق الرجل مبتعداً وهو يشعر بخيبة الأمل.

أدار الشاب بصره نحو معلمه وسأله:

" -ولكن ما خطبه؟ ما الخطأ الذي قمت به؟"

فابتسم المعلم في هدوء وقال:

-"فلننتظر موقفاً مشابهاً وسأريك."

وفي اليوم التالي، كانا الاثنان يجلسان علي عتبة الباب عندما أتى رجل باتجاههم. فقال المعلم:

" -دعني أتعامل معه. وستفهم المشكلة، فهذا الرجل أيضا يحتاج إلى الرمان."

دعى الطبيب الرجل المريض للدخول وأجلسه. ثم أمره بخلع ملابسه وأخذ يفحصه طويلاً. وبعد برهة سأله عدة أسئلة.

" -حسناً، لقد فهمت... إن حالتك مثيرة للانتباه، ونادرة حقا! وأرى بالفعل أنك تعاني. انتظر دقيقة، دعني أفكر... ما الموصى به في مثل هذه الحالة، بالطبع سيكون دواءً طبيعياً.

انتظر! فاكهة، ربما... ولها بذور كثيرة... ليمون؟ لا، لا، ربما يكون شديد الحمضية وبإمكانه أن يؤذي معدتك. دعنا نري ... حسناً! لقد عرفت! إنه الرمان. هذا بالتحديد ما تحتاجه! رمان ......

وظل الطبيب يراقب مريضه بتركيز كما لو كان حقق اكتشافاً عظيما لتوه.

وهكذا دفع المريض، مطمئناً، معبراً عن امتنانه، مبلغاً مالياً للطبيب، وعاد إلى منزله في سعادة. قال الشاب منزعجاً:

- "أنا لا أفهم! ولا أرى أي فارق. فهذا بالضبط ما قلته البارحة للمريض الآخر: 'أنت تحتاج إلى رمان'!"
-"هذا صحيح. ولكن أترى، إن هذين الرجلين أكثر من حاجتهما إلى الرمان، يحتاجان إلى الوقت."

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- لماذا يريد الشاب أن يثبت نفسه؟
- كيف علم الطبيب أن تلميذه ليس مستعداً بعد؟
- ما الخطأ الرئيسي الذي ارتكبه الشاب؟
- لماذا شعر المريض الأول بالإحباط؟
- لماذا شعر المريض الثاني بالرضا؟
- لماذا شعر الطالب بالضيق؟
- لماذا يجد الطالب صعوبة في فهم ما حدث؟
- ماذا تعني "الحاجة للوقت"؟
- هل الطبيب مخادع؟
- ما الذي يعلمه الطبيب ولا يعلمه تلميذه؟

تأمل

- لماذا الصبر مهم؟
- هل يجب علينا أن نكذب لنمرر الحقيقة؟
- لماذا تحتاج الحقيقة إلى الوقت؟
- هل كلنا في حاجة للاعتقاد بأننا مميزون؟
- هل نبحث جميعنا عن هوية؟
- لماذا نريد أن نستعرض معرفتنا؟
- هل المعرفة في حد ذاتها قوة؟
- هل النهاية تبرر الوسيلة؟
- هل من الأخلاقي أن تكذب لكي تحصل علي ما تريد؟
- هل التلاعب شيء جيد؟
- هل من الجيد دائماً أن تكون صادقاً؟

٤/ المدرس

هل قَنَاعَاتُنا مِلك لنا؟

كان هناك معلم يعمل في إحدى المدارس معروفٌ بأنَّه مُتَطلِّب جداً وحازم جداً مع تلاميذِه. لم يُخبره تلاميذُه أبداً عن ذلك لأنه كان مُخيفاً جداً لهم. حذاري لأي طالب لم يحفظ دروسه عن ظهر قلب! ولكن في أحد الأيام، لاستيائهم من تَسَلُّطِه، قرر التلاميذ البحث عن طريقة لكي يتخلصوا منه. "يا خسارة،" قال أحَدُهم، "إنه لا يَمرَض أبداً! لكان هذا لَيُعطينا بعض الراحة" "نعم،" قال آخر، "كُنَّا لنُصبحُ أحراراً، ولو لبعض الوقت."

عند سماع ذلك، اقترح تلميذٌ ثالث فكرة. "نستطيع أن نحاول إقناعه بأنه مريض. سيكون من الكافي أن نقول له: "مُعلمي! إن وجهك شاحب جداً اليوم. من الواضح أنك لستَ بخير، من المؤكَّد أنك مُصابٌ بالحُمَّى."" "إن أخبرته بذلك فقط، فلن يُصدقك،" اعترض رابع، "كلماتك وحدها لن تُفلح في إقناعه. ولكن لو كررنا نفس الشيء، واحد تِلو الآخر، سوف يُصدقنا في النهاية، سوف أُخبِره بعدك مباشرةً "ما الذي يحدث يا سيدي؟ ماذا حدث لك؟" ولو بَدَونا صادقين، وبِمُؤازرة بعضنا بالتكرار، لا شك في أنه سيقتنع."

في اليوم التالي، شَرَع التلاميذ في تنفيذ مُخَطَطهم. فبمجرد وصول المعلم، بدلاً من أن يحَيّوه كالمعتاد، صرَّح له التلميذ الأول، والقلقُ بادٍ في عينيه، 'بالخبر السيء'. ولكن المعلم، مستاء من ملاحظته، أزاحه بعيدا بحركة مفاجئة من يده قائلا، "لا تَكُن سخيفاً! أنا لست مريضاً. اذهب واجلس مكانك." وكما هو مُتَّفَقٌ عليه، أخبره تلاميذٌ عِدَّة، واحد تلو الآخر بقلقهم عليه، كلٌّ بطريقته. وبالتدريج، بدأ المعلم يَشُكُّ في نفسه، وانتهى للتصديق بأنَّه فعلاً مريض جداً لدرجة أنه بدأ يَشعُر بأنه ليس بخير مطلقاً. وأخيرا قرر المعلم العودة لمنزله الملتصق بالمدرسة كي يستريح قليلا. ولكنه شعر بالسخط تجاه زوجته. "كيف لم تلاحظ أي شيء هذا الصباح؟ هل أصبحت لا تحبني؟ تى هل ستتركني وتتزوج من آخر؟"

عندما فَتَحَ باب منزله كان يستشيط غضباً. وزوجته التي فوجئت بوصوله المبكر، سألته، "ما الذي حدث؟ لماذا تركت المدرسة؟" "كيف لا ترين إصفرار وجهي؟" ردَّ المعلم بنبرة لاذعة. "الجميع مُهتمٌ بصحتي، ولكنك غير مُهتمة إطلاقاً. نحن نعيش تحت سقف واحد، وأنتي حتى لا تقلقين بشأني؟" ردَّت زوجته، "زوجي العزيز، أنت واهِم. أنت لستَ مريضاً أكثر مني. من أين أتيت بتلك الفكرة الغريبة؟"

عندها أصبَح المعلم ناقما وقال،" أيتها المرأة الحمقاء، يبدو أنك عمياء تماماً، وهذا ليس خطأي. ألا ترين أني مريض. أنا لا أشعر أني بخير والألم يجتاح جسدي." ولكن المرأة ردت بحزم، "كما تُريد، ولكن دعني أُحْضِر لك مرآة وسوف تتأكد بنفسك إن كنت مريضاً أم لا، وسوف ترى إن كنت أستحق أن تعاملني بتلك الطريقة المهينة."

"دعينا من مرآتك! إذهبي وحَضّري سريري أفضل. لعلي أشعر بتحسن إن رقدت. ثُمَّ إذهبي سريعا إلي الطبيب." خرجت المرأة وهي مُتَذَمِّرَةً من الغرفة قائلةً في نفسها "كُلَّ ذلك غير مَفهوم. إنه يدَّعي أنه مريض كي يُبعدني عن المنزل. لا أعرف ما الذي يُدبِّر له، ولكنِّي متأكدة من أنه يَتَمارَض."

بمجرد أن رَقَد في الفراش، أخذ المعلم يتأوه. بعض التلاميذ الذين تَبِعوه ليتابعوا بقية الأحداث، سمعوا تأوهاته عبر النافذة. اقترح التلميذ المُخادع صاحب الفكرة "الجيدة" على الآخرين "فلنقرأ دروسَنا معا بأعلى صوت مُمكن، فهو ليس في حالةٍ جيدة وستُضايقُه ضوضاؤنا حتماً." وفي وقتٍ قصير أصبح المعلم مُرهقاً من

الضوضاء، وبرغم مرضه قام ليُخبر تلاميذه، 'أنتم تسببون لي الصداع. لن تكون هناك حصصٌ اليوم. أنا أسمح لكم أن تذهبوا إلي منازلكم." بطريقةٍ مُهذبة، تَمَنَّوا له الشفاء العاجل وانصرفوا.

عندما رأت الأمهات أولادهُنَّ يلعبون في الشارع بدلاً من التواجد بالمدرسة، وبَّخنهم بشدة، ودافع الأطفال عن أنفسهم قائلين، "إن المعلم هو من أمرنا بالرحيل! ليس ذنبنا إن كانت إرادة الله أن يَمرَض معلمنا." حذَّرتهم الأمهات، "سوف نرى إن كنتم تقولون الحقيقة. ولكن احذروا أن تكون كَذبة!" ذهبت السيدات فوراً لبيت المعلم، حيثُ تأكَّدن حقاً من أنَّه مريضٌ بشدة. اعتذرن على الإزعاج قائلات، "اعذُرنا أيها المعلم، لم نكن نعرف أنك مريض."

"حتى أنا لم أكن أعرف!" قال المدرس. "حمداً لله العظيم أن نبَّهني أبناؤكُنّ!"

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- ما نوع العلاقة بين التلاميذ ومعلمهم؟
- ما وجه التشابه بين المعلم والتلاميذ؟
- لماذا انتهى المعلم إلي تصديق التلاميذ؟
- لماذا غضب المعلم من زوجته؟
- لماذا صدق المعلم التلاميذ بدلاً من أن يصدق زوجته؟
- هل المعلم متعقل؟
- لماذا لم يرغب المعلم في رؤية نفسه في المرآة؟
- هل تثق شخصيات هذه القصة ببعضها؟
- هل المعلم حقاً مريض؟
- لماذا صدَّقت الأمهات المعلم ولم يصدقن أبنائهن؟

تأمل

- هل تُجسِّد المدرسة شكلاً من الأشكال المُنَفِّرة؟
- هل السلطة ضرورية للمعلم؟
- لماذا يجب علينا تصديق الجماعة أكثر من تصديق الفرد؟
- هل التكرار طريقة جيدة لتوصيل رسالة ما؟
- هل الخوف طريقة فعَّالة لتوصيل رسالة ما؟
- هل يجب علينا تصديق الآخرين أم تصديق أنفسنا؟
- لماذا أحيانا نفضِّل أن نثق في قناعاتنا بدلاً من تصديق ما هو ظاهر؟
- لماذا تتضمن السلطة المصداقية؟
- لماذا يجد الأهل صعوبة في تصديق أبنائهم؟
- هل المعاندون أقوياء أم ضعفاء؟

٥/ الزوجة الخائنة

أينبغي دائماً قول الحقيقة؟

ذات يوم عاد رجل إلى المنزل على غير العادة. لم تكن من عادته أن يترك الحانوت باكراً هكذا، إلا أن هاجساً قد تملكه. لذا قرر أن يصل داره على حين غرة في ساعة غير معتادة. وفي هذه الأثناء كانت زوجته الخائنة تستقبل رجلاً آخراً. وعندما لم يستطع الرجل فتح الباب طَرَقَهَ بقوة منادياً على زوجته. ولما كانت الزوجة متأكدة من عدم حضور زوجها في مثل ذلك الوقت، في منتصف اليوم، باغتتها المفاجأة: ولم تدرِ ماذا تفعل، فمنزلهم الصغير لم يكن له مخرج آخر غير الباب الرئيسي ولا به مكان للاختباء. وما من ركن يسمح بإخفاء رجل على أية حال. فقررت الزوجة من يأسها أن تجعل ضيفها يتنكر في زي امرأة مستخدمة ملابسها ونقاب، ثم فتحت لزوجها الباب.

كان الرجل في تنكره بيّناً كوضوح الجمل في الدَرَج، ولكن الزوج كبح تعليقاته. وسأل زوجته ببساطة:

-"من المرأة خفية الوجه هذه؟"

فأجابت الزوجة: "إنها امرأة معروفه في البلدة بالتقوى والثراء."

-"وما عسانا أن نقدم لها؟ أتطلب منا معروفاً؟"

-"إنها تود مصاهرتنا. فقد سمعت خيراً عن ابنتنا وتريدها زوجة لنجلها. إنها امرأة ذات قلب نقي ونبيل: وأكدت أنها تريد ابنتنا سواء كانت جميلة أم لا. يجدر بك أن تعرف أن ابنها لا مثيل له في قوة شخصيته وجماله وذكائه."

-"نحن فقراء وهي امرأة ثرية. زواج كهذا مثله كمثل ثوب نصفه منسوج من حرير ونصفه الآخر من الكتّان: يجلب العار لم يرتديه."

-"وهذا ما قلته لها بالضبط، لكنها قالت أنها لا تكترث، فهي لا تعبأ بالمال أو الجاه، ولا تعبأ بما يظنه الآخرون. وتريد فقط التعامل مع أشخاص أمناء."

وهكذا استمر الزوج في إثارة نقاط جدلية متعددة وكانت الزوجة في كل مرة تؤكد أنها بالفعل قد طرحت الحجج جميعها، زاعمةً أن المرأة لاتهتم لكل ذلك. وكانت تكرر باستمرار:

-"إنها لا تخشى الفقر، إن ماتقدره فينا حقاً هو أمانتنا."

-"لابد وأنها لاحظت إذَن أن منزلنا أصغر من أن نُخفي فيه إبْرةً! ويمكنها أن تخمن أن ابنتنا لا تملك شواراً. أما عن أمانتنا وكرامتنا فلا شك وأنهما جليتان." ثم قال "ولكن فلتفعلي ما يحلو لكِ في النهاية" قبل أن يغادر عائداً إلى حانوته.

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- لماذا عاد الزوج على حين غرة؟
- لماذا تنكر الزوجة الأدلة بشكل فجّ هكذا؟
- لماذا لا يقوم الزوج بفضح كذب زوجته؟
- هل يثق الزوج في زوجته؟
- هل الزوج رجل ضعيف؟
- هل المرأة ساخرة؟
- ما اللعبة التي تدور بين الزوجين؟
- هل الحقيقة ممكنة بين الزوجين؟
- هل الزوج عقلاني؟
- لماذا يغادر الزوج في النهاية؟

تأمل

- أينبغي أن نثق في حدسنا؟
- هل الثقة الكاملة عمياء؟
- هل يخوننا الآخرون في النهاية دائماً؟
- هل يمكننا حقاً إخفاء الحقيقة؟
- ما هي الدوافع الرئيسية للكذب؟
- هل من اللائق دائماً فضح الكذبة؟
- هل نحن ضحايا أكذوباتنا؟
- هل يمكن أن يكون للكذب وظيفة إيجابية في العلاقات الإنسانية؟
- هل الأخلاق شخصية أم جماعية؟
- هل ينبغي علينا أن تجنب الخزي؟

٦/ ملاك الموت

هل يمكننا أن نتهرب من قدرنا؟

في يوم من الأيام، ذهب قريب للملك سليمان إلى قصره وطلب مقابلة طارئة معه. وعندما وصل الرجل أمام عرشه، لاحظ الملك وجه الرجل الشاحب وشفاهه الزرقاء ونفسه القليل، فسأله:

- "أنت لا تبدو على مايرام! ماذا حدث؟"

- "شيء رهيب! هذا الصباح، كنت في السوق، وفي وسط الزحام، لاحظت عزرائيل، ملاك الموت. وعندما لاحظ أني اكتشفت وجوده، نظر لي نظرة مرعبة، مليئة بالغضب. لا أعرف لماذا؟ ولكنه غاضب مني."

- "أفهمك، ولكن ماذا تريد مني أن أفعل؟ إنه أقوى الملائكة."

- "أتوسل إليك أيها الملك العظيم القوي! ساعدني!"

- "ولكني أخبرتك أني لا أستطيع أن أفعل أي شيء ضده. كيف يمكنني أن أساعدك؟"

- "جلالتك، يا من تأمر جميع عناصر الطبيعة، اطلب من الرياح الكبيرة أن تحملني بعيداً عن هنا، كل البعد، إلى الهند. من أجل خلاصي وخلاص روحي!"

فاستجاب الملك، وطلب من أعتى ريح أن تحمل الرجل المسكين إلى الهند، حيث وصل في نفس اليوم.

في وقت متأخر من اليوم، ذهب الملاك عزرائيل، الذي كان لا يزال في المدينة، إلى زيارة الملك العظيم. والأخير كان عنده فضول ليعرف المزيد، ولم يستطع أن يخفي سؤاله عن الملاك. فأخبره عما حدث وسأله:

- "لماذا غضبت على هذا الرجل؟ مع أنه رجل تقي وأمين. لقد أصبته بالرعب الشديد لدرجة أنه غادر البلاد في عجالة."

فأجابه عزرائيل: "لا على الإطلاق! لم أكن غاضباً عليه. لقد أساء فهمي. فأنا نظرت إليه بدهشة شديدة. فلقد أمرني الله أن أقبض روحه، لأن أجله قد حان. ولكن كان علي أن أقبضها غداً، في الهند. ولهذا السبب فوجئت للغاية وقلت لنفسي: 'كيف يمكن أن يكون هنا اليوم، وغداً في الهند؟ لابد أن هذا الرجل يمتلك أجنحة تحمله من مكان إلى آخر بهذه السرعة!'"

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- لماذا أساء الرجل فهم تعبيرات وجه عزرائيل؟
- لماذا عزرائيل هو أكثر الملائكة قوة؟
- لماذا يتم تمثيل الموت عن طريق ملاك؟
- إلام يرمز سليمان في هذه القصة؟
- لماذا ينفذ سليمان ما طلبه الرجل منه؟
- هل كان الرجل فعلاً "تقياً وأميناً"؟
- لماذا تحجج الرجل بخوفه على خلاص روحه؟
- هل يجب أن يكون عزرائيل متفاجئ بتحول الأحداث؟
- من ماذا حقاً يهرب الرجل؟
- ماذا تمثل الهند في هذه القصة؟

تأمل

- لماذا نخاف من الموت؟
- هل الموت جزء من الحياة؟
- هل من الممكن أن تقبل نفسك بالكامل؟
- هل نحن نشتهي الخلود؟
- لماذا الموضوعية تثير المشاكل؟
- هل يجب أن نتقبل وجهة الأشياء؟
- هل يمنعنا الخوف من الحياة؟
- هل نحن "محكوم علينا أن نكون أحراراً" كما ادعى سارتر؟
- هل القدر واقع؟
- هل يمكن أن نحب المصير؟

٧/ البعوضة والفيل

هل نحتاج لأن يعترف بنا الآخرون؟

فى مرة كانت هناك بعوضة، تعرف برهافة حسها، اسمها ناموسة الفطنة. ذات يوم وبعد تفكير عميق في حالها، قررت أن تنتقل إلى مسكن أفضل لأسباب فاضلة وكافية. وعليه اختارت مكاناً ملائماً جداً وهو أذن فيل. وقررت نقل كل ممتلكاتها واستقرت في موضع مناسب في هذا الوطن الواسع الجذاب.

وبمرور الوقت، أنجبت ناموسة أجيالاً من البعوض الصغير وأطلقتها في هذا العالم الضخم. وككل البعوض عاشت بالتناوب بين مشاعر النشوة والقلق، الفرح والحزن، الضجر والرضا.

أذن الفيل أصبحت وطنها وهي أصبحت مقتنعة – وهذا أمر عادة ما يحدث في هذه الظروف - أنه ثمة علاقة قوية بين حياتها وقصتها ووجودها وهذا القصر الجميل. الأذن كانت شديدة الدفء، شديدة العمق، شديدة الترحاب، وكانت شاهدة على الكثير من الخبرات!

عندما انتقلت لمسكنها الجديد قامت بالتأكيد بتأدية الأعراف السائدة اللازمة للموقف، وعند الوصول قامت بشكل رسمي بإعلان نواياها بأقصى صيحة تتناسب مع صوتها الخافت.

"أيها الفيل، أخبرك أنه لا أحد إلا أنا، ناموسة الفطنة، قررت الآن أن أسكن في هذا القصر، وبما أنها أذنك والتزاماً بالأعراف، أخبرك بقراري". بالطبع لم يعترض الفيل فهو لم يسمع شيئاً. علاوة على ذلك، وفي حقيقة الأمر، لم يلحظ الفيل بأي حال من الأحوال وجود عائلة البعوض من الأساس.

وأخيراً جاء يوم أن قررت ناموسة بعد حيرة تغيير مسكنها وذلك لأسباب جوهرية وكافية. وفقاً للعرف المقدس قامت بإعداد إعلان منحوت، وصاحت في أذن الفيل ولكنها لم تتلق أي رد، فقامت بإعادة الصياح بنفس القوة، أيضاً دون أن تتلق أي رد. فعادت وكررت بعناد للمرة الثالثة، مصممة على أن تُسمع، وتعيد تدقيق تعليماتها وكلماتها الفصيحة:

"أيها الفيل. أخبرك أنا ناموسة الفطنة، أنى نويت مغادرة منزلي ووطني وأن أترك إقامتي في هذه الأذن التى هي ملكك حيث أقمت عمراً طويلاً، وذلك لأسباب جوهرية وكافية مستعدة لعرضها عليك".

في هذه المرة وصلت كلمات ناموسة أخيراً إلى مسامع الفيل الذى سمع خشخشة مبهمة فحرك خرطومه.

وصاحت ناموسة – وهي سعيدة أن ترى الفيل يطرب لسماع كلماتها – "ماذا لديك لترد على هذه الأخبار، ماذا تشعر حيال هجرتى هذه؟"

وهنا رفع الحيوان الكبير رأسه الضخم وأطلق نفخة مرة أو مرتين اعتبرتها ناموسة بفخر علامة انصياع.

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- ما مدى أهمية أن تكون ناموسة "فطنة"؟
- لماذا تحترم ناموسة الأعراف إلى هذه الدرجة؟
- ما هي علاقة ناموسة بأذن الفيل؟
- لماذا لم يكن للفيل أي اسم على العكس البعوضة؟
- هل تملك البعوضة أسباباً "جيدة وكافية" للانتقال؟
- لماذا أصرت ناموسة على تلقي رد من الفيل قبل المغادرة؟
- هل رد الفيل على ناموسة؟
- هل يفهم الفيل والبعوضة بعضهما البعض؟
- هل تحتاج البعوضة إلى الفيل من أجل البقاء؟
- هل تعتبر البعوضة رغباتها واقعاً؟

تأمل

- هل الحياة تحتاج لمعنى حتى تكون لها قيمة؟
- هل هناك ما يثير الشفقة في الوجود الإنساني؟
- هل الإنسان كائن سهل التأثر؟
- لماذا نقوم بعمل مشاريع؟
- لماذا نتظاهر بأننا مميزون أو متفردون؟
- ماذا نتوقع من الآخرين؟
- هل يميل البشر لاعتبار رغباتهم حقائق واقعة؟
- هل حب الذات مرتبط بالضرورة بالعلاقة مع الآخر؟
- هل يمكن الضحك على كل شيء؟
- هل نشبه الفيل أم ناموسة أكثر؟

٨/ الشيخوخة

هل الشيخوخة محنة؟

رجل مسن شعر بالقلق على صحتة فذهب لاستشارة الطبيب وشرح باستفاضة عن مدى شعوره بضعف قدراته الذهنية وسأل الطبيب عما يمكنه فعله لعلاج هذة المشكلة. فأنصت الطبيب له بصبر ثم أوضح له أن ما يشكو منه من دون شك ناجم عن التقدم بالعمر.

فرد المريض بقوة غير راضٍ عن تصريح الطبيب:

-"ولكن بصري أيضاً يزداد ضعفاً."

- "وهذا أيضا من التقدم بالعمر" أجابه الطبيب.

فاستكمل الرجل في ضيق وقال:

-"وأشعر بألم في ظهري، لعله أيضاً بفعل السن".

- "بالطبع هذا واضح من تقدم السن"

- "وفي الحقيقة أنا أعاني من سوء الهضم عندما آكل أي شيء، في اعتقادي أنه لا يمكنني فعل شيء حيال ذلك الامر أيضاً".

- "بالطبع هذا صحيح، مع تقدم العمر يحدث ضعف تدريجي للنظام الهضمي".

- "وكنت سأشرح لك أيضاً عن شعوري بالصعوبة في التنفس أحيانا بسبب إحساسي بضعف وإجهاد في صدري، ولكن بالطبع هذا لن يفيد بأي شيء، اليس كذلك؟"

- "هذا شيء طبيعي بالتأكيد! أنت الآن رجل مسن، وكبر السن عادة يأتي بكثير من العيوب، جسدنا يضمر، ومقاومته تتضاءل، وهذا ليس بشيء بهيج، ولكن عليك أن تتقبل هذه الحقيقة المحزنة".

فاشتد غضب الرجل وقال:

-"أنت حقا عاجز! وتهذي وأنت لا تعرف شيئاً عن الطب! ما فائدتك إذا كنت لا تستطيع معالجة أي شيء؟ كل الأمراض لها علاج، هذا هو علم الطب! ولكنك لا تملك أي دليل! أتعجب أين تعلمت مهنتك!"

رداً على هذه الكلمات قال الطبيب:

-"أنت الآن تبلغ من العمر فوق السبعين عاماً! وذلك أيضا يوضح سبب غضبك وكلماتك العنيفة!"

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- هل ذهب الرجل لاستشارة الطبيب بسبب مرضه؟
- هل يحتاج الرجل للذهاب إلى الطبيب؟
- هل الطبيب متعاطف مع مريضه؟
- هل الطبيب طبيب جيد؟
- هل يحق للمريض أن يشعر بالغضب اتجاه طبيبه؟
- هل السن هو سبب غضب المريض؟
- هل يبحث الرجل عن نوع من المواساة؟
- هل يعرف الرجل حقاً ما الذي يريده؟
- هل المريض إنسان حكيم؟
- هل الطبيب إنسان حكيم؟

تأمل

- هل يجب علينا أن نحارب الشيخوخة أم نقبلها؟
- هل تعتبر الشيخوخة اكتمالاً أم تدهوراً؟
- هل هناك أشكال مختلفة للحكمة؟
- هل علينا التزام أخلاقي بأن نكون حكماء؟
- هل الاعتدال دائماً مستحسن؟
- هل الشيء المقدر حقيقة أم إيمان؟
- هل يمكن لأحد أن يحب المقدر، كما يوصي نيتشه؟
- هل من الأفضل أن نغير رغباتنا عن أن نغير ترتيب العالم، كما يقترح ديكارت؟
- هل آراؤنا تجاه الأشياء تحدد حقيقتها؟
- هل يمكننا إساءة استخدام الطب؟

٩/ التشارك

هل دائماً ما تؤدي الصداقة إلى التعارض؟

خلال رحلة طويلة وشاقة، تصادق ثلاثة رجال. فقد تشاركوا ملذاتهم وأوجاعهم ووضعوا جميع مواردهم معاً.

ذات أمسية، بعد نزهة طويلة، اكتشفوا أن المؤن قد تتضاءلت، ولم يتبق شيء سوى بعض الماء في أسفل الزجاجة وقطعة من الخبز.

ولما لم يكن لديهم علم كيف يتقاسموا فيما بينهم مثل هذه الكمية الضئيلة فشلوا في التفاهم وانتهى الأمر بهم إلى جدال طويل.

مع انتهاء الأمسية، اقترح أحدهم أن يخلدوا إلى الفراش الآن وأن يتخذوا قرارهم في الصباح الباكر، قائلاً:

"لنذهب إلى النوم وبعد الاستيقاظ، سيقرر الشخص الذي حظي بأكثر حلم ذي معنى كيف نتصرف."

قبل الاثنان الآخران العرض.

في اليوم التالي، استيقظوا وقت الفجر. بادر الأول بالحديث قائلاً:

" -هذا هو حلمي. لقد انتقلت إلى عالم رائع، لطيف لدرجة تعجز الكلمات عن وصفها. قابلت شيخاً قال لي: 'الطعام حقك أنت، فحياتك، الماضية، والحاضرة والمستقبلية، جديرة بالتقدير وتستحق احترام الجميع بلا شك'."

ثم جاء دور الثاني وقال:

" -إن حلمك تافه مقارنة بحلمي. فلقد رأيت في لحظة واحدة عرضاً لحظياً لحياتي برمتها، بماضيها ومستقبلها. ثم ظهر لي كائن غريب كأنه ملاك معلناً: 'أنت من تستحق شرب الماء وأكل الخبز، لأنك أكثر حكمة وأوسع صبراً عن رفيقيك الاثنين. ينبغي أن تأكل جيداً، لأن مصيرك هو أن تقود الرجال'."

وفي دوره تحدث الرحال الثالث قائلاً:

" -في حلمي، لم أر شيئاً على الإطلاق، لم أسمع شيئاً، ولم أقل أي شيء أيضاً. ولكني شعرت بقوة لا تقاوم، قوة غامضة، تدفعني إلى النهوض، لأخذ الماء والخبز، واستهلاكهما في الحال. لم أستطع المقاومة، وهذا هو ما فعلته."

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- هل الثلاث رجال أصدقاء؟
- لماذا يتنافس الثلاث رجال علي هذه الكمية الضئيلة؟
- لماذا يستخدم حلم كمقياس للحكم؟
- من هم ملائكة تلك الأحلام؟
- ما هو المعيار الأساسي الذي استخدمه الرفيق الأول؟
- ما هو المعيار الأساسي الذي استخدمه الرفيق الثاني؟
- ما الذي يميز حجة الرفيق الثالث؟
- هل الرفيقان الأول والثاني صادقان؟
- هل الرفيق الثالث حكيم أم متهكم؟
- هل القصة تؤيد الرفيق الثالث؟

تأمل

- هل يمكن لشخص الادعاء بشكل شرعي أنه اخلاقي أكثر من شخص آخر؟
- هل يمكن للأهليلة أن تكون معياراً غير ملائم؟
- هل الصداقة تؤدي غالباً إلى التعارض؟
- هل التصرف واقعي أكثر من التفكير؟
- هل أحلامنا قادرة على خداعنا؟
- لماذا يعبر مهاتفو الوحي عن أنفسهم بشكل مبهم؟
- هل الحاضر أهم من المستقبل؟
- هل "عدم التعجل في اتخاذ قرار" نصيحة جيدة؟
- هل من الحكمة أن نثق في حدسنا؟
- هل المتهكم واقعي؟

١٠/ النصائح الثلاثة

هل الإنسان ضيق الأفق؟

في يومٍ ما، أحضر صياد في شبكته عصفوراً صغيراً. لدهشته الكبيرة أخذ الطائر في الحديث، وحاول أن يقنع الرجل بتحريره. "اتركني، قالها الطائر، ماذا عساك أن تفعل بي؟ فليس لي أي فائدة! أنا صغير وهزيل ولن تجد على هيكليما يسد جوعك. لكن إن أطلقت سراحي، في المقابل، سأسديك ثلاث نصائح غالية تكون لك عوناً في حياتك." وعرض العصفور على الرجل أن يمنحه النصيحة الأولى وهو لا يزال محبوساً، والثانية فور إطلاق سراحهوجلوسه على غصن الشجرة، والثالثة حال وصوله إلى قمة الجبل.

احتار الصياد قليلاً، وبعد أناقتنع أن ليس لديه الكثير ليخسره، قَبِل العرض. وعجّل بطلب النصيحة الأولى. فقال العصفور: "إن خسرت شيئاً ما، حتى إن كنت تتمسك به كما بحياتك، لا تندم على خسارته أبداً". تفاجأ الرجل قليلاً بعد سماع النصيحة، ومع ذلك، أطلق سراح العصفور، الذي حلق عالياً وهبط على الغصن. بعدها طلب الرجل النصيحة الثانية، فقال العصفور: "عندما تسمع شيئاً يتناقض مع البديهي، فلا تصدقه أبداً دون التحصّل على دليل." ثم طار العصفور إلى قمة الجبل. تبعه الرجل متلهفاً إلى القمة، ولكن قبل أن يسأل عن النصيحة الثالثة، حدثه الطائر باستفزاز قائلاً: "أيها الرجل التعيس! أنا أحمل بداخل جسدي جوهرتين ضخمتين وثمينتين! ولإن قتلتني، لكنت الآن سعيد الحظ مالِك هاتين الجوهرتين!"

إثر سماعه لتلك الكلمات ندم الرجل واغتاظ لمن تلك الخدعة التي تعرض لها، وبالُه في الثروة التي ضاعت لتوها منه. وبوجه حزين، طلب الرجل النصيحة الثالثة على الرغم من ذلك.

حدثه الطائر بسخرية وقال: "يالك من أحمق! ها أنت تنتظر مني نصيحتي الثالثة، بينمالم تفهم ولا حتى أنصتّ إلى النصيحتين السابقتين اللتان قدمتهما لك. تَذَكّر! لقد أوصيتك ألا تندم على شيء أبداً، ومع ذلك أنت بالفعل نادم على عدم قتلك لي. وأوصيتك ألا تصدق ما يتنافى مع ما هو بديهي دون الحصول على دليل، ولكنك، وبلا شك، صدقت أني أحوي بالفعل جوهرتين ضخمتين في جسدي النحيل هذا. بهذه السرعة، صدقت أي شيء ونوحت على ما اعتقدت أنك فقدته! أنت فعلاً أبله! ولن تتغير أبداً. مثل معظم الناس، ستظل سجين أحكامك المسبقة وضيقِ أفقك."

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- لماذا حرر الصياد العصفور؟
- لماذا فوجئ الصياد بالنصيحة الأولى؟
- ما الفرق بين النصيحة الأولى والثانية؟
- لماذا حكى العصفور قصة الجوهرتين؟
- لماذا لم يعمل الصياد بنصائح العصفور؟
- هل أسدى العصفورُ الصيادَ نصيحةً ثالثة؟
- لماذا كان العصفور متهكماً إلى هذه الدرجة؟
- لماذا كان بطل القصة صياداً، وليس مزارعاً؟
- هل تعلم الصياد شيئاًأثناء مغامرته هذه؟
- ما الذي يرمز إليه العصفور في هذه القصة؟

تأمل

- هل يجب ألا نندم على أي شيء أبداً؟
- هل نحن جميعنا صيادون؟
- هل يجب ألا نصدق أي شيء غريب بدون دليل؟
- هل الإنسان ساذج بوجه عام؟
- هل رغباتنا ناصح سيء؟
- ما الذي يمنعنا من التغير؟
- هل من المناسب أن نسخر من شخص ما بغرض تعليمه؟
- هل الحس المشترك معيار مناسب للحكم على الأمور؟
- هل البديهي مشترك؟
- هل الإنسان فضولي بطبعه؟

١١/ محمود المتردد

هل نحب أن نكون ضحايا؟

لم يكن محمود قادراً على أن يقرر لنفسه، فهو لا يعرف كيف يقود حياته. بعد عدة محاولات غير واضحة وتجارب مختلفة باءت بالفشل، ساورته شكوك كثيرة .كانلديه عدة مشاريع حالمة، ولكن نظراً إلى ماضيه، وخوفاً من الخطأ مرة ثانية، لم يستطع أن يحدد المسار الصحيح. بالإضافة إلى ذلك، بدأ موقفه الشخصى يسبب له مشكلات على المستوى العملي، لأنه أصبح يعانى في تلبية احتياجاته الخاصة.

وفي يوم جميل قرر أن يطلب نصيحة من حكيم صوفي، فسأله:

" -ماذا أنا فاعل بحياتى؟ وما القرارات التي ينبغي أن أتخذها؟ لم أعد أعرف ماذا أفعل"...

استمع الرجل بصبرإلى شكوى محمود لبعض الوقت ثم قاطعه قائلاً:

- "إنه أمر بسيط جداً يا محمود! اذهب إلى الغابة، وراقب الطبيعة، واحتذي مثالاً منها ولسوف تحصل بالتأكيد على درس حياتيصالح ".

أطاع محمود الأمر واتجه إلى الغابة. أخذ يراقب باهتمام ولكن بدون أن يستنتج أي شيء عندما رأى بالقرب من شجيرة ثعلب يتسكع بهدوء، ويبدو على بطنه الامتلاء واضحاً، دقق في الرؤية ليكتشف - ولسبب غير معلوم - أن الثعلب بلاكفوف .!تعجب محمودوشرع يتسآل:

" -كيف استطاع هذا الثعلب أن يطعم نفسه؟ كيف يمكنه أن ينقضعلى أية فريسة؟"

قرر محمود أن يتتبع جذور هذه المشكلة، وأقام هناك ليتابع المراقبة. وبعد فترة قصيرة، وعلى مقربة، شاهد دُباً يقتنص غزالة ويلتهمها بصوت مرتفع ثم يغادر تاركاً جثتها .

وعندما خلا الطريق ظهر الثعلب من وراء الشجيرات وزحف وصولاً للجيفة حتى يأكل ما تبقى منها.

-"حسناً! إن الأمر كذلك إذن!هلل محمود، إنه درسٌرائعٌ وسهلُ الفهم."

غادر محمود الغابة وهو واثق من حصوله على إجابات أسئلته، وقرر أن يطبق هذا الدرس الحياتي العظيم.

بعدها بسنتين، طرق متسولٌ جائعٌ بابَ الحكيم الصوفي. بعد حيرة لم تطلْ، تعرّف الحكيم على محمود وهو رثّ الثياب ونحيل البدن:من الواضح أنه قد عانى وتغيّر جسمانياً. اشتكى محمود بمرارة وهو منهك:

- "لقد أخذت بنصيحتك، ولكنها لم تفلح .فقد اتبعت مثال الطبيعة ولكنها أعطتنى درساً سيئاًللغاية" قالها محمود وصوته متحشرج." لقد حاولت ولكن الأمر لم ينجح. انظر لحالي وستفهم لأي مدىً قد عانيت."رد الحكيم:

" -ولكن ما الذي حدث؟"

" -ذهبت للغابة لأشاهد الطبيعة كما نصحتني. فرأيت ثعلباً بلا كفوف وعلى الرغم من ذلك لا ينقصه شيء. ورأيت أن الأشياء تأتي إلى عنده بشكل طبيعي. وعليه انتظرت أنا أيضاً صابراً: فلقد كنت واثقاً،وانتظرت حتى تأخذ الأمور مجراها الطبيعي بنفسها. فصبرت تماماً مثل الثعلب ولكن الخيرات لم تجد طريقها إليمطلقاً. ها أنا الآن فقير ومريض ومعدم. إنه حقاً عالم بلا شفقة !

هز الحكيم رأسه متفهماً وقال:

" -عزيزى محمود! كان هذا درساً ممتازاً طبقاً لمارويته لي، ولكن أخشى أن الطالب كان ضيّقَ الأفق بعض الشيء. فأنت تملك جميع أطرافك بالفعل، فلم اخترت أن تحاكي الثعلب؟ كان يجدر بك أن تتخذ مثالك في

الدب بدلاً منه! فلتستفيد من القدرات التيأعطتكإياها الطبيعة! وستستطيع بذلك أن تطعم نفسك، وأن تطعم الضعفاء في نفس الوقت ".

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- لماذا لا يستطع محمود أن يجد طريقه في الحياة؟
- كيف يرى محمود نفسه؟
- هل محمود قوي الملاحظة؟
- لماذا اختار محمود أسلوب الثعلب بدلاً من الدب؟
- هل محمود حسن الظن؟
- هل كان الحكيم على حق عندما اقترح على محمود أن يأخذ دروساً من الطبيعة؟
- هل فهم محمود نصيحة الحكيم؟
- لماذا وصف الحكيم محمود بـ"ضيق الأفق"؟
- ما هي مشكلة محمود الرئيسية؟
- هل تعلم محمود أي شيء على مدار القصة؟

تأمل

- هل الطبيعة معلم يمكن الاعتماد عليه؟
- هل ينبغي أن نؤمن بالعناية الإلهية؟
- لماذا نحب أن نشكو؟
- لماذا يكون الاختيار صعباً في أكثر الأحيان؟
- هل الرغبة في الكمال مرشد جيد في الحياة؟
- هل نتعلم فقط ما يناسبنا؟
- هل العالم شرس؟
- هل السلبية نقيصة بالضرورة؟
- هل الشك أمر جيد أم سيء؟
- هل حقيقي كما قال هيجل أن "الخوف من الخطأ هو أول خطأ"؟

١٢/ الرَوَث

هل الاختلاف يمثل لنا مشكلة؟

ذات يوم، وبالتحديد في منتصف سوق التوابل والعطور، انهار رجل فجأة وسقط على الأرض، مغشياً عليه. لم تعد لديه أية قوة في رجليه. أصاب رأسه الدوار، وكان من الواضح أنه انزعج من رائحة البخور الذي يحرقه التجار، والذين هرعوا ومعهم بعض المارّة، لنجدته. شرع بعضهم يدلكون قلبه أو ذراعيه. سكبت امرأة بعضاً من ماء الورد على وجهه، معتقدةً أنها تعيد إليه قوته وتنعشه ليقف على قدميه. أثناء ذلك، كان آخرون يحاولون أن يزيلوا عنه الملابس حتى يتنفس. وبعد ذلك أتى رجلٌ يبدو عليه المهارة في علوم الطب، وانحنى ليتفحص نبضه، ثم اقترح ببساطة أن يتركوا المريض وشأنه وأن ينتظروا بصبر.

كان الجميع من حولهيتناقشون. بعضهم شخص الحالة على أنها إفراط في تناول الخمر أو الحشيش، آخرون قرروا أنه نقص مياه أو طعام، أو نسبوا المرض ببساطة إلى حرارة الجو. كل شخصكان يشرح الموقف لجاره من خلال خبرته الشخصية: فيرُوون ما حدث لهم شخصياً، أو ما شاهدوه لدىأقاربهم. ولكن في النهاية، في وسط كل هذا الضجيج، لم يجد أي منهم العلاج، وظل الرجل راقداً فاقداً الوعي.

ولكن شقيق هذا الرجل كان دباغاً، وكان يملك ورشةً هو وشقيقه، على مقرُبة. علم بسرعة بما حدث، وبمجرد أن سمع الخبر، جرى صوب السوق، وكان يلتقط في طريقه ما يجده من قطع روث الكلاب، ويحتفظ بها في يده. وحالما وصل إلى مسرح الأحداث، شق طريقه من خلال الحشود وهو يصرخ: "دعوني أَمُرّ! أنا أعلم ما الذي يجب فعله. أنا أعرف سبب مرضه!"

كان يخبئ" دواءه" جيداً حتى لايثير استنفار الناس. وصل الرجل إلى شقيقه، وانحنى كما لوكان يهمس له بسر في أذنه. وفي نفس الوقت، وفي خلسة، وضع يده تحت أنفه. فور أن اشتم رائحة ما كانت يد أخيه تقبض عليه، استفاق المريض في الحال واستعاد عافيته. اعترى الفضول المشاهدين الذين كانوا يراقبون الموقف لفترة. وفي الحال افترضواوجودنوع من القوى السحرية. حتى أن بعضهم أكدوا: "إن هذا الرجل لديه نفخة قوية. أتراه يستطيع أن يبعث الميت!" ثم قام الرجل وغادر مع شقيقه، وكأن شيئاًلم يكن.

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- لماذا هرع الناس عندما غاب الرجل عن الوعي؟
- هل يهتم الناس حقيقةً بالرجل المغشي عليه؟
- ما الذي ترمزإليه الروائح في هذه القصة؟
- لماذا يُفَضّل ألا يتم القيام بأي شيء للمريض؟
- لماذا أراد كل هؤلاء الناس أن يُعَلّقوا؟
- لماذا لم يجرؤ الأخ أن يصرح بما فعله؟
- ما الذي يمثله الدباغ في القصة؟
- لماذا يمكن لروث الكلاب أن تثير الاشمئزاز؟
- لماذا يتكلم المشاهدون عن "السحر"؟
- ماذا تود أن تعلمنا هذه القصة؟

تأمل

- لماذا نريد أن نساعد الآخر؟
- لماذا تلفت المصائبالأنظار؟
- لماذا يحدث الاشمئزاز؟
- هل يمكن للصالح أن يؤذينا؟
- لماذا يقال أن "الطريق للجحيم مفروش بالنوايا الحسنة"؟
- لماذا نحب أن نعلق على ما يحدث لنا؟
- لماذا يجب أن نخفي أشياء بعينها بالرغم من أنها مشتركة بين الجميع؟
- هل نحتاج إلىشرح كل شيء؟
- هل يزعجنا الاختلاف؟
- هل ينبغي أن نثق دائماً في خبرتنا؟

١٣/ المالك والمتسول

هل الأخلاق عامة؟

كان هناك متسول يعبر في قرية، ذاهباً من باب إلى باب، وطالباً ما يحتاجه ليقتات. وصل إلى منزلٍ فخمٍ وطرق على الباب، وإذ بمالك المنزل يفتح الباب ويسأله بخشونة عمّا يريد. عبّر المتسول عن بؤسه وطلب إن كان بإمكان المالك أن يعطيه قطعة من الخبز، حتى وإن كانت قديمة لكي يتغذى. أجابه المالك بأسلوب كريه:

" -أتريد خبزاً؟ قل لي، هل يبدو لك هذا المنزل وكأنه مخبز؟"

أصرّ المتسول:

" -ألديك بعضاً من الفاكهة، حتى لو تالفة؟"

" -هذا المنزل ليس ببقالة."

" -أو قطعة لحم؟"

" -نحن لسنا بمجزرة ولا مسلخة."

" -وماذا عن كوب من الماء؟ لابد وأن لديك كوباً من الماء، أليس كذلك؟"

" -هل ترى نهراً هنا؟"

" -هل يمكنني إذاً أن أرتاح قليلاً في حديقتك؟"

أجاب الرجل في حنق:

- "بالتأكيد، فهذا نزل، يمكن للجميع اتخاذه كمأوى لهم كما شاءوا! اذهب من هنا! اترك هذا المكان! لا يوجد شيئاً لك هنا!"

هكذا تم رفض جميع طلبات المتسول بنفس الأسلوب. فجأة، أنزل هذا المتسول سرواله وتغوّط على عتبة المنزل.

" -ماذا تفعل هنا!" صاح الرجل غاضباً، في خوف وصدمة.

" -كنت أبحث عن مكان مناسب للتغوّط، أجاب المتسول وهو لا يزال في وضع القرفصاء، وأخيراً وجدته. ففي هذا المنزل لا يوجد ما يؤكل أو ما يشرب، ولا يمكن حتى الارتياح فيه. فهو خراب كامل، وفارغ تماماً، لا يمكن لأحد أن يعيش فيه! من الواضح أن مكاناً كهذا لا يمكن أن يستخدم كأكثر من بالوعة."

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- لماذا يستقبل المالك المتسول بطريقة سيئة منذ البداية؟
- لماذا لا يعطي المالك شيئاً للمتسول؟
- لماذا يستخدم المالك الأسئلة متنكرة في شكل إجابات؟
- ما هو الأمر المشتركبين الحجج المختلفة للمالك؟
- هل تغيرت شخصية المتسول على مدار القصة؟
- من أين يأتي عنصر الفضيحة في هذه القصة؟
- لماذا تغوط المتسول على عتبة الباب؟
- ما هي طبيعة الصراع الأخلاقي بين الرجلين؟
- ما هو منطق المتسول؟
- فيم يتشابه المتسول والمالك؟

تأمل

- لماذا نحب التملك إلى هذه الدرجة؟
- فيم تفيد السخرية؟
- لماذا المتسولون مكروهون؟
- لماذا تخيفنا القذارة؟
- فيم يشكل الآخرون تهديداً؟
- هل تتسبب الفضيحة بالضرورة في ؟
- هل يجب احترام من يحترمنا فقط؟
- هل يجب أن نكون كرماء؟
- هل يجب أن يكون الخلق عالمي لكي يكون حقيقي؟
- هل القوانين الأخلاقية ضرورية؟

١٤/ الرجل الغضوب

هل عيوبنا موجودة لسبب ما؟

كان هناك رجل يغضب أحياناً كثيرة، بطريقة عنيفة.بعد مرور أعوام كثيرة اكتشف أخيراً أن هذه الرغبة تصعب عليه حياته.

ولأنه لم يكن يعرف ماذا يفعل فبدأ يبحث عن شخص يعطيه النصيحة. فسمع الناس يتحدثون عن درويش لديه حكمة عظيمة وقرر الذهاب لزيارته. فأخذ أمتعته وبندقيته وبدأ رحلته.

وبعد عدة أيام من رحلته وصل إلى المكان الذي يعيش فيه الرجل الحكيم.وبعد أن استمع طويلاً للرجل الزائر تحدث الحكيم قائلاً:

- "اذهب إلى مفترق الطرق المهجور الذي سوف أصفه لك، هناك سوف ترى شجرة قديمة جافة. اجلس تحت فروعها واعرض الماء على كل عابر سبيل لكي يروي ظمأه."

الرجل الغضوب نفذ الأمر وذهب إلى الطريق المنشود.جلس تحت الشجرة وبدأ في عرض الماء على المسافرين المارين. مر الوقت وبدأ في اكتساب سمعة بعينها في المنطقة بأنه رجل زاهد يعيش في ضبط نفس شديد ويمارس الأعمال الخيرية، وهو مريد لمعلم عظيم وسيد نفسه.

في يوم من الأيام مر رجل يبدو عليه العجلة على المكان المهجور، ولم يكن مهتماً تماماً عندما عُرض عليه الماء ليروي ظمأه.

عندما نادى عليه التفت غير مبالياً ثم استمر في السير وكأن شيئاً لم يكن. استاء الرجل وأصر وكرر عرضه عدة مرات.

- "خذ رشفة من الماء الذي أعطيه لكل المسافرين المارين بهذا الطريق"

وعندما لم يأبه المسافر وتابع طريقه، غضب الرجل الزاهد وصاح به قائلا: "على الأقل اشكرني." ولكن الآخر لم يلتفت إليه.

استشاط غضباً بهذا الفعل ولم يستطع التحمل أكثر من ذلك.متناسياً كل العمل الذي بذله على نفسه من زهد وضبط للنفس، سحب الرجل بندقيته التي كانت معلقة طيلة الوقت على غصن الشجرة الميتة وصوبها تجاه المسافر المستهتر وأطلق عليه النار فأرداه قتيلاً.

أحس الرجل الرجل الغضوب باليأس بعد النظر إلى تبعات فعلته.

ولكن في هذه اللحظة حدثت معجزة وبدأت الشجرة الميتة في الازدهار.لاحقاً، علم أن الرجل الذي قتله كان هو نفسه قاتل يسرع لارتكاب جريمة قتل أخرى في إثر سلسلة من الجرائم البشعة.

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- لماذا كان الغضب يصعب على الرجل حياته؟
- لماذا طلب الدرويش من الرجل الذهاب إلى مفترق الطرق المهجور؟
- لماذا كان على الرجل إعطاء الماء للمارين؟
- لماذا أطاع الرجل الدرويش؟
- هل تعلم الرجل أي شيء في هذا المكان؟
- لماذا غضب الرجل من المسافر المسرع؟
- لماذا يؤدي الغضب إلى القتل؟
- لماذا جعل القتل البراعم تنمو؟
- ما هو الدرس المستفاد من هذه القصة؟
- هل يوجد أي تشابه بين بطلي القصة؟

تأمل

- هل هناك مغزي من الغضب؟
- هل الشعور بالغضب معتمد على الشخص نفسه أم على الآخرين؟
- هل من الأفضل أن نحيا بعيوبنا حتى النهاية أم أن نصححها؟
- لماذا صعب علينا تقبل أنفسنا كما نحن؟
- هل يمكننا حقيقة أن نتغير؟
- ما هي طرق لتعلم ضبط النفس؟
- هل ضبط النفس ممكن ومرغوب؟
- هل الآخرون هم مرآة لنا؟
- هل العدل الملزم موجود؟
- هل كل شيء موجود له معنى؟

١٥/ الصندوق القديم

هل يجب دائماً أن نعرف؟

لقد كان هناك رجل يحترمه الجميع، لأنه كان مفكراً وعاش حياة متوازنة. لكنه تزوج متأخراً من فتاة صبية تصغره بكثير.

في ليلةٍ ما، عاد إلى منزله متأخراً أكثر من عادتهِ، واستقبله خادمه المخلص بطريقة غير معتادة. قائلاً له:

" -سيدتنا، زوجتك، تتصرف بطريقة غريبة هذا المساء. فقد أحضرت الصندوق الكبير الذي امتلكته جدتك إلى غرفتها، ذلك الذي يحتوي على آلة التطريز القديمة، لكني متأكد أن به شيئاً مختلفاً. وقد رفَضَت أن تتركني انظر بداخله، حتى أنا، خادمك الأقدم! والآن ترفض أن يدخل أي شخص إلى غرفتها."

ذهب الرجل حتى يرى زوجته عند سماعه ذلك الخبر، وتبعه خادمُه المخلص. وعندما دخل وجدها جالسةً بجانب صندوق كبير من الخشب المقوى، وكان يبدو عليها القلق. بعد أن ألقى التحية عليها، طلب منها أن ترفع الغطاء حتى يرى ما يحتويه الصندوق. فأجابت الزوجة:

" -هل هذا بسببِ ريبة خادمك، ألهذا تسألني ذلك؟ ألا تثق بي؟"

أجابها الزوج:

-"أليس من الأفضل أن نقطع جميع حبال الشك بفتح الصندوق؟"

لكن أخبرته المرأة بنغمةٍ حاسمة:

" -لا أعتقد أن هذا ممكن."

" -لماذا لا؟ هل هو مغلق؟"

" -نعم إنه كذلك."

" -إذن أين يوجد المفتاح؟"

آرته المرأة المفتاح، وقالت:

" -فلتجعل الخادم يذهب، وسوف أعطيك المفتاح."

أرسل الرجل خادمه وأعطته المرأة المفتاح في خجل، ثم غادرت الغرفة وهي يبدو عليها القلق.

جلس الرجل وحيداً إلى جانب الصندوق وبدأ يفكر، بينما كانت أصابعه تلعب بالمفتاح. بقي الرجل هناك لوقت طويل. وفي وقت متأخر من تلك الليلة، أرسل إلى الجنايننية الذين يعملون لديه، وطلب منهم أن يرفعوا الصندوق ويأخذوه إلى مكان بعيدعن العقار. تنفيذاً لتعليمات الرجل، قاموا بعمل حفرة عميقة، ودفنوا بها الصندوق. كان الرجل يتابعتهم، ثم عاد إلى المنزل.

منذ ذلك الوقت،أُقْفِلَت الحادثة، ولم يتم ذكرها بعد ذلك.

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- هل الزوج مسؤول عن المشكلة التي حدثت له؟
- هل الزوج رجل فعلاً حكيم؟
- أي معضلة وضعتها الزوجة أمام زوجها؟
- لماذا أرسلت الزوجة الخادم بعيداً؟
- لماذا غادرت الزوجة الغرفة في النهاية؟
- هل يثق الزوج في زوجته؟
- هل تثق المرأة في زوجها؟
- ما الذي ترمز إليه الفتاة الشابة؟
- ما الذي ينم عنه آخر اختيار للزوج؟
- هل تعلّم الزوج أي شيء من خلال الحادثة؟

تأمل

- هل اتخذ الزوج القرار السليم؟
- هل من المرغوب معرفة كيف نسى؟
- مما تتكون الحكمة؟
- هل للثقة ثمن؟
- لم الاختيار أمر صعب؟
- هل نكون دائماً وحيدين عندما يأتي وقت الاختيار؟
- عندما نواجه معضلة، هل ينبغي دائماً أن نختار؟
- هل الفضول ميزة أم علة؟
- مما تتكون المعرفة الشائعة؟
- لماذا يؤلمنا الشك؟

١٦/ الرجل الذي يمشي على الماء

ما فائدة المعرفة؟

كان هناك درويشاً على درجة عالية من العلم، وكان قد تتلمذ في مدرسة شاقة وقاسية، وفي أحد الأيام، كان يمشي إلى جوار النهر، متأملاً حقيقة الأشياء، منهمكاً في المعضلات اللاهوتية العظيمة والمشكلات الأخلاقية، وهي العلوم المؤسسة لجوهر التعليم الصوفي الذي تمنحه المدرسة، والتي من خلالها تُكتشَف الحقيقة المطلقة لجميع الموجودات.

وبينما كان يمشي، مأخوذاً بالكامل في تأملاته العميقة، سمع صيحةً قاطعت حبل أفكاره. ومن فوره أيقن أنها تسبيحة دراويش تقليدية آتية من جزيرة في وسط النهر، وباعتباره متخصصاً، أدرك أيضاً، لصدمته، أن ذاك الرجل كان يرتكب خطأً جسيماً.

- "إن هذه الكلمات بلا قيمة، قال الرجل في سره، فكيف يمكن لهذا الرجل أن يذبحالمقاطع المقدسة بتلك الطريقة! فإن الصيغة الصحيحة ليست' يا هو'، بل هي 'هو يا هو!'"

اعتبر الدرويش هذا الأمر واجبه الذي لا يقبل التأجيل - بل واجبه المقدس - وهو أن يصحح لهذا التعيس المعذَّب أمره. فلا شك أنه لم يحظى مثله بالفرصة لتلقي التعليم المناسب، ومن المستحيل أن يدخل هذا المسكين في حالة تناغم مع الحقيقة أبداً!

ملاحظاً وجودَ زورقٍ مربوطٍ إلى جواره، استعاره وأخذ يجدف باتجاه الجزيرة. هناك وجد رجلاً يرتدي عباءة الدراويش، جالساً على الأرض في كوخٍ بائس من البوص.

وبينما هو يسَبّح بالصيغ الاستهلالية، كان يتأرجح وفق إيقاع إنشاده.

- "يا صديقي الصالح، قال الدرويش، هذه ليست الطريقة الصحيحة للنطق! لا تغضب مني، فأنا أشعر بأنني ملزم بأن أقول لك ذلك، لأن المعرفة تفرض علينا أموراً. وعلاوةً على ذلك، فإن إعطاء النصيحة النافعة للجار لهو شيءٌ جديرٌ بالتقدير كما هو الأخذ بها."

ثم أخذ يشرح ما يجب عليه أن يقوم به لكي يسبح جيداً، فشكره الرجل بتواضع على مساعدته الكريمة. ثم عاد الدرويش المتعلم إلى زورقه، مسروراً لكونه قد أحسن صنعاً. وتذكر كلمات معلمه الذي قال "إن الرجل الذي يستطيع أن يردد الكلمات المقدسة بشكلٍ صحيح لديه قدرةً تمكنه حتى من المشي فوق الماء." لم يستطع هو نفسه يوماً أن يفعل ذلك ولم يرى أحداً لديه مثل هذه القدرة، ولكنه لم ييأس من إمكانية حدوث ذلك في أحد الأيام.

ولما لم يعد يسمع صوتاً من الجزيرة، فكر أن الرجل لابد وأنه يفكر في الأمر وأن الدرس قد أثمر. ثم سمع" ياهو" خافتة بها بعض الخجل: قد عاود الرجل التسبيح من جديد، متردداً، ولكنه مازال على طريقته الخاطئة المعتادة. انزعج الدرويش المتعلم لسماع ذلك. ولكنه هدأ من روعه بأن أخذ يتأمل في سوء الطبع العنيد لدى الإنسان، وفي إصراره على الخطأ.

وبينما هو يجدف بهدوء، هائما في أفكاره العميقة، لمحت عيناه أغرب مشهد في الوجود: درويش الكوخ قد غادر الجزيرة وأخذ يتحرك في اتجاهه، ماشياً على سطح الماء. توقف الدرويش من فورهمدهوشاً عن التجديف. ولما بلغ إليه الرجل فاتحه بالطلب التالي:

- "أخي، سامحني على إزعاجك، ولكني أتيت إليك طالبا المساعدة. هل يمكنك أن تعيد على الطريقة التقليدية التي علمتني إياها من جديد؟ فإني أجد صعوبة في تذكرها."

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- لماذا صُدم الدرويش المتعلم حينما سمع التسابيح؟
- ما أهمية الـ"كلمات المقدسة"؟
- هل الدرويش المتعلم مدفوع بالحس الأخلاقي؟
- عن ماذا يبحث الدرويش المتعلم؟
- هل الدرويش الثاني ساذج؟
- لماذا يجد الدرويش الثاني صعوبة في نطق الكلمات الـ"كلمات المقدسة"؟
- لماذا طلب الدرويش الثاني المساعدة من الدرويش المتعلم؟
- لماذا لا يستطيع الدرويش المتعلم المشي فوق الماء؟
- أي الدرويشين أكثر وعياً؟
- ما الاختلاف الجوهري بين الدرويشين؟

تأمل

- لماذا نحاول أن نعرف الأشياء؟
- هل المعرفة قوة أم فخ؟
- هل السذاجة صفة جيدة؟
- لماذا يمثل الجهل لنا مشكلة؟
- هل نُصِرّ أحياناً على الاستمرار في الخطأ؟
- لماذا ننبهر بالخارق للطبيعة؟
- لماذا يزعجنا عدم الاتفاق؟
- هل يمكن أن يمثل الوعي مشكلة؟
- هل من الممكن معرفة الحقيقة؟
- هل الحكمة متلازمة طردياً مع المعرفة؟

١٧/ محل المصابيح

هل للعبث معنى؟

في ليلةٍ غير مُقمِرة، في شارعٍ بارد ومهجور، تقابل رجلان وسأل أحدهما الآخر" :أخبرني، هل تعرف هذا الحيَ؟ أنا أبحث عن متجر يُسمَّى بمتجر المصابيح. من المفترض أن يكون قريباً من هنا، لَكنِّي لا أستطيع العثور عليه في أي مكان."

- "أنا أعرف هذا الحي، يُجيب مُحاوره، فأنا أسكُن على بُعدِ ثلاثة بنايات من هنا. لذلك أستطيع إرشادك لذلك المكان."

- "أُفضِّلُ أن أحاول إيجاد ذلك المكان وحدي. لقد وصفوا لي كيف أصل إلى هناك، حتي أني دونت جميع الإرشادات على تلك الورقة."

- "إذاً، أنا لا أفهم جيداً لماذا أتيت إلي طالما أنَّك تفضل أن تجد المَتجر بنفسك."

- "في الحقيقة، أردت فقط أن أتحدث، فالليل مظلم."

- "حقاً! إذاً أنت لا تبحث أصلاً عن المَتجر، وإنَّما تبحث عن صُحبة."

- "أظُنُّ أنَّك مُحق. في الغالب الوضع كما تقول."

- "ولكن إن أردت أن تجد ذلك المَتجر، سيكون من الأفضل أن يساعدك أحدٌ من أهل هذا الحي، بما أنك أصبحت قريباً. خاصةً أنَّ الجزء الأخير من الطريق مُعقَّد قليلا."

- "أنا أثقُ في الناس الذين أخبروني عن الطريق، هُم يعرفون ما يتحدثون عنه. ثم أن وَصفَهم قد أوصلني إلي هنا، حيثُ بِتُّ قريباً، كما تقول. أليس هذا دليلاً؟! كما أنِّي لا أعتقد أني سأستطيع أن أثقفياًشخاص آخرين."

- "لكن الغريب أنك تستطيع الوثوق فيمن أخبروك عن الطريق دون أن يُعلِّمك أحدٌ كيف تُفرِّق بينأهل الثِّقة وبينَ مَن هم ليسوا بأهلِها."

- "قد تكونَ مُحقّا"

- "في النهاية، ما هو هدَفُك؟"

- "فقط كما قُلت، أن أجِد متجر المصابيح."

- "هل يُمكن أن أسألك لماذا أنت مُتَلَهِّف هكذا لإيجاد ذلك المتجر؟"

- "لأن مصدراً موثوقاً فيه أخبرني أن سوف أجد في ذلك المكان أدوات تُمكِّنني من القراءة في الظلام."

- "أجل، ولكن هناك شيءٌ في الغالب غَفَلتَ عنه."

- "حقاً! ولكن ما هو؟ أنا لا أراهُ مطلقاً. ما الذي غَفِلتُ عنه؟"

- "لكي تقرأ على ضوء مصباح، يجب أن تعرف كيف تقرأ أولاً، أليس كذلك؟"

- "أنت لا تستطيع أن تُثبت ذلك!"

- "حقاً، سيكون من الصعب الإثبات في ليلةٍ مظلمةٍ كهذه. ولكن تَنْقُصُكَ معلومة هامة."

- أيَّة معلومة؟"

- "متجر المصابيح مازال حَيثُما كان دائماً، ولكن جميع المصابيح نُقِلَت إلى مكان آخر، في متجر آخر."

" -اسمع، من الواضح أني لا أعرف ما هو المصباح مطلقاً! ولكن يبدو أنَّك تجده في متجر المصابيح. ولهذا سُمِّيت بذلك الاسم، أليس كذلك؟"

- "حقا، إلا أنَّ كلمة "متجر المصابيح" تَدُلُّ على معنيين. قد تعني "المكان الذي تُباعُ فيه المصابيح" ولكنها قد تعني أيضا "المكان الذي كانت تُبَاعُ فيه المصابيح في الماضي، لكن ليس الآن."

- "هذا أيضا، أنا متأكدٌ أنك لا تستطيع إثباته"!

- "هل تُدرِكَ أنَّه لو سَمِعَكَ شخصٌ، لأعتبرَكَ أحمقاً؟"

" -أما أنا فأعتقد أنك أنت من ستعتبر أحمقاً! ولكني أُريدُ أن أصدق أنَّكَ لستَ كذلك. حيثُ أشُكُّ أنَّ لديك في الحقيقة خطة مدبرة. من المُحتَمَل أنَّك تُريد أن تأخُذني إلي مَتجر مصابيح يملكه أحد أصدقائك، أليس كذلك؟ أو لسببٍ ما لا تريدني أن أبتاع مصباحاً."

- "بل أسوأ مما تَظُن! فبدلاً من تركك تبحث عن مَتجر مصابيحك، ظاناً أن ذلك سوف يحل مشكلتك، وددت أن أعرف إن كنت تستطيع القراءة أم لا. وتساءلت عن قدرتك على التعرف على شكل متجر كهذا إن لم تكن قدرأيت مثله من قبل. وعلى نحوٍ مماثلٍ، رغبت في تسأل نفسك عن إمكانية وجود أماكن أخرى تجد فيها مصباحاً كهذا، أو طُرقاً أُخري للقراءة في الظلام.

نظر الرجلان لبعضهما في حزن، ثم تابع كلٌ منهما في طريقه.

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- إلام يرمز الجو المظلم في هذه القصة؟
- هل الغريب واثق أم مرتاب؟
- لماذا يناقض الغريبنفسه؟
- ما الذي يمثله "متجر المصابيح" في القصة؟
- هل يبحث الغريب فعلاً عن متجر مصابيح؟
- ما الذي ترمز إليه فكرة "القراءة في الظلام"؟
- ما الذي يبحث عنه الغريب حقاً؟
- لماذا يتجادل الرجلان؟
- ما الذي تعنيه الجملة الأخيرة في القصة؟
- هل للقصة معنى؟

تأمل

- ما الذي نبحث عنه خلال الحوار؟
- هل يجب أن نفهم بعضنا حتى نتحاور؟
- لماذا نتجادل بوجه عام؟
- ما المشكلة التي تشكلها لنا العقلانية؟
- هل دائما نعرف ماذا نريد؟
- ما السبب الرئيس في وحدة الإنسان؟
- لماذا نشعر بالاحتياج للإساءة للآخرين؟
- لماذا نتفادى كثيراً الرد على أسئلة الآخرين؟
- هل جميعنا مُساءٌ فهمُنا؟
- هل يُمكن للعبث أن يكون له معنى؟

١٨/ الملك الذي أراد أن يكون كريماً

هل ننتظر دوماً المقابل؟

في أحد الأيام، استدعى ملكٌ عظيم يشعر بالضجر درويشاً وطلب من أن يخبره بقصة. "مولاي!" قال الدرويش، "أرغبُ في إخبارك بقصة ملك كان الأعظم كرماً بين جميع الملوك، لأنه لو استطعت أن تكون مثله، حتماً ستكون أعظم الملوك على وجه الأرض."

ساد التوتر الحاد بين جميع من سمع ذلك الرد، لأن لا أحد يجرؤ على التَحَدُّث بهذه الطريقة مع الملك، وكان من المُعتاد أن يُخبره الجميع بأنَّه أعظم ملوك الأرض، لأنه بالطبع موهوب بأفضل الصفات التي لم يَسبِقهُ أحدٌ إليها من قبل. "اخبرني تلك القصة،" قال الملك في ضيقٍ ظاهر، "ولكن احذر، لأنه إن لم تَرتَقي قصتك لِمستوى كلماتك، سوف تُقطَع رأسُك بسبب الإساءة إلى ملكك."

حكى الدرويش، دون أن يفقد وَقَارِه، القصة الطويلة لملك ضَحَّى بمملكته وحتي بنفسه كي لا يُعاني أحدٌ بسببه. بعد سماع القصة التي استَحْوَذت عليه، نَسَى الملك تهديداته وقال معلناً، "ها هي قصة رائعة أيها الدرويش ويجدر بنا أن نستفيد منها. أنت بالطبع لن تستطيع أن تستفيد لأنَّك لا تَمْلُك شيئا وليس لديك ما تعطيه. أنت زاهد في كل شيء ولا تطمح لأي شيء من تلك الحياة. ولكني ملك، ذو مالٍ وذو سلطان، وسوف ترى أني أستطيع أن أكون أكرم الملوك، أكثر حتى مما تتخيل. اتبعني وشاهد ماذا سوف أفعل."

ذهب الملك إلى تلةٍ مطلةٍ على المدينة. وهناك دعى أفضل مهندسيه وأمرهم ببناء صَرحاً مُكوَّناً من حجرة مركزية شاسعة مُحاطة بجدار به أربعين نافذة. بعدها أمر بإحضار جزء كبير من ثروته إلى داخل ذلك البناء. استُخدِمَت جميع وسائل النَّقل لجمع ونقل أكوام العملات الذهبية، كانت مهمة أخذت وقتاً طويلاً. وعندما أصبح كل شيء جاهزاً، أشاع الملك الخبر في جميع أركان المملكة بأنه، في كل يوم، سوف يُطِلُّ من إحدى النوافذ موزعاً ثروته على المحتاجين من أهل بلده.

انتشرت الأخبار سريعاً، وفي كل يوم، احتشد المُحتاجون حول نوافذ البناية العديدة كي يحصلوا على قطعة من الذهب من اليد الملكية. استمتع الملك بكل لحظة من الموقف. ولكن بعد بضعة أيام، لاحظأحد الناس الذي يبدو عليه أنه درويشاً، والذي كان يأتي في كل مرة، ويأخذ القطعة الذهبية، ثم يذهب دون إبداء أي شكر للملك مثل باقي الشحاذين. أيضاً، كان الملك متعجباً من أن يرى درويشاً مثله، يأتي ويأخذ ذهباً. في البداية، أخبر الملك نفسه أن الدرويش قد يكون لديه سبب وجيه، أو أنه يأخذ الذهب ويُوَزِعُهُ على بعض الفقراء كنوع من الإحسان. ولكن مع الوقت، تَسلل الفضول والريبة إلى قلب الملك، وبعد أربعين يوماً، كان الملك مستاء من التجاهل المستمر، ونَفَذَ صبره، واستدعى الدرويش:

-"أيها الجاحد! ألا تعرف كيف تقول شكراً لما أقدمه؟ ألا تستطيع الانحناء كالآخرين؟ لقد أتيت كل يوم، وتَلَقيت قطعة من الذهب، ألا تعرف كيف تبتسموتظهر بعض العِرفان؟ إلى متى سوف يستمر هذا؟ ثُمَّ أخبرني، هل تستغل كرمي لتغتني، أم لتُرابي؟ إن تصرفك هذا لا يليق بدرويش! يبدو أنت ترتدي ذلك الثوب المُرَقَّع لِتَخْدَعَنا!"

بمجرد أن نُطِقَت تلك الكلمات، أَخْرَجَ الدرويشُ الأربعين قطعة ذهبية من نطاقه وألقاها عند قدمي الملك قائلاً:

في أحد الأيام، استدعي ملكٌ عظيم يشعر بالضجر درويشاً وطلب من أن يخبره بقصة. "مولاي!" قال الدرويش، "أرغبُ في إخبارك بقصة ملك كان الأعظم كرماً بين جميع الملوك، لأنه لو استطعت أن تكون مثله، حتماً ستكون أعظم الملوك على وجه الأرض."

ساد التوتر الحاد بين جميع من سمع ذلك الرد، لأن لا أحد يجرؤ على التَحَدُّث بهذه الطريقة مع الملك، وكان من المُعتاد أن يُخبره الجميع بأنَّه أعظم ملوك الأرض، لأنه بالطبع موهوب بأفضل الصفات التي لم يَسبِقهُ أحدٌ إليها من قبل. "اخبرني تلك القصة،" قال الملك في ضيقٍ ظاهر، "ولكن احذر، لأنه إن لم تَرتَقي قصتك لمستوى كلماتك، سوف تُقطَع رأسُك بسبب الإساءة إلى ملكك."

حكى الدرويش، دون أن يفقد وَقَارِه، القصة الطويلة لملك ضَحَّى بمملكته وحتي بنفسه كي لا يُعاني أحدٌ بسببه. بعد سماع القصة التي استَحْوَذت عليه، نَسَى الملك تهديداته وقال معلناً، "ها هي قصة رائعة أيها الدرويش ويجدر بنا أن نستفيد منها. أنت بالطبع لن تستطيع أن تستفيد لأنَّك لا تَمْلُك شيئا وليس لديك ما تعطيه. أنت زاهد في كل شيء ولا تطمح لأي شيء من تلك الحياة. ولكني ملك، ذو مالٍ وذو سلطان، وسوف ترى أني أستطيع أن أكون أكرم الملوك، أكثر حتى مما تتخيل. اتبعني وشاهد ماذا سوف أفعل."

ذهب الملك إلى تلةٍ مطلةٍ على المدينة. وهناك دعى أفضل مهندسيه وأمرهم ببناء صَرحاً مُكوَّناً من حجرة مركزية شاسعة مُحاطة بجدار به أربعين نافذة. بعدها أمر بإحضار جزء كبير من ثروته إلى داخل ذلك البناء. استُخدِمَت جميع وسائل النَّقل لجمع ونقل أكوام العملات الذهبية، كانت مهمة أخذت وقتاً طويلاً. وعندما أصبح كل شيء جاهزاً، أشاع الملك الخبر في جميع أركان المملكة بأنه، في كل يوم، سوف يُطِلُّ من إحدى النوافذ موزعاً ثروته على المحتاجين من أهل بلده.

انتشرت الأخبار سريعاً، وفي كل يوم، احتشد المُحتاجون حول نوافذ البناية العديدة كي يحصلوا على قطعة من الذهب من اليد الملكية. استمتع الملك بكل لحظة من الموقف. ولكن بعد بضعة أيام، لاحظأحد الناس الذي يبدو عليه أنه درويشاً، والذي كان يأتي في كل مرة، ويأخذ القطعة الذهبية، ثم يذهب دون إبداء أي شكر للملك مثل باقي الشحاذين. أيضاً، كان الملك متعجباً من أن يرى درويشاً مثله، يأتي ويأخذ ذهباً. في البداية، أخبر الملك نفسه أن الدرويش قد يكون لديه سبب وجيه، أو أنه يأخذ الذهب ويُوَزِعُهُ على بعض الفقراء كنوع من الإحسان. ولكن مع الوقت، تَسلل الفضول والريبة إلى قلب الملك، وبعد أربعين يوماً، كان الملك مستاء من التجاهل المستمر، ونَفِذَ صبره، واستدعي الدرويش:

-"أيها الجاحد! ألا تعرف كيف تقول شكراً لما أقدمه؟ ألا تستطيع الانحناء كالآخرين؟ لقد أتيت كل يوم، وتَلقيت قطعة من الذهب، ألا تعرف كيف تبتسموتظهر بعض العِرفان؟ إلى متى سوف يستمر هذا؟ ثُمَّ أخبرني، هل تستغل كرمي لتغتني، أم لتُرابي؟ إن تصرفك هذا لا يليق بدرويش! يبدو أنت ترتدي ذلك الثوب المُرَقَّع لِتَخْدَعَنا!"

بمجرد أن نُطِقَت تلك الكلمات، أَخْرَجَ الدرويشُ الأربعين قطعة ذهبية من نطاقه وألقاها عند قدمي الملك قائلاً:

- "خُذْ ذَهَبَك، أيها الملك الكريم! ولتَعلَم أنَّ لا معنى للكرم إلى بثلاثة شروط: أن تُعطي دون أن تشعر أنك كريم. أن تُعطي دون أن تنتظر أي شيءٍ في المقابل. أن تُعطي دون أن تشك فيمن تُعطيه. فهل تستطيع يوماً أن تكون كريما؟"

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- لماذا يصيب الضجر ملكاً قوياً؟
- هل يحتاج الملك إلى الدرويش بعينه ليخبره بقصة؟
- لماذا يغضب الملك؟
- لماذا يشعر الملك بأنه أعلى مكانة من الدرويش؟
- لماذا يريد الملك أن يصبح كريماً؟
- لماذا يغضب الملك من الدرويش الشحاذ؟
- لماذا يجب علينا ألا نبحث عن 'الشعور بأننا كرماء'؟
- لماذا يرتاب الملك من الآخرين؟
- ما هي الصفة المشتركة بين الدرويشين في القصة؟
- هل الملك فخور بنفسه؟

تأمل

- لماذا نحتاج لأن يتملقنا الآخرون؟
- هل من الممكن ألا ننتظر شيئاً من الحياة؟
- لماذا تصيبا الريبة تجاه الآخرين؟
- لماذا يصيبنا الملل؟
- هل يستطيع المَجد أن يجعلنا سعداء؟
- لماذا نقارن أنفسنا كثيراً بالآخرين؟
- هل يغري الإفراط الإنسان؟
- هل دائما نعرف ما الذي يحركنا؟
- هل الإنسان أبداً غير راضٍ؟
- هل من الممكن أن نفعل الخير فقط من أجل فعل الخير؟

١٩/ المحبوبة

هل نُحب الأشخاص أم نُحب الحُب؟

في وقتٍ ما، كان يوجد شابٌ واقعٌ في الحب. وقد كان محَلَّ إعجابِ الجميع بسبب شَغَفِه المستَمِر. فلسنواتٍ طويلة، لم يستَطع الوصولَ لمحبوبَتِه، وعرقلت ظروفٌ عديدة خُطَطَه، ولكن بالرَّغمِ من كل شَيء، كان الأملُ يُغَذي قلبه.

ولكن في يوم ما، وصَلَته أخيراً الرسَالة التيلطَالما انتظَرَها من مَحبوبته.

- "تعالَانضَمَّ لي الليلة، نَستَطيع أخيراً أن نَلتَقِي ببعضِنا البَعض. وقَد أَعدَدتُ لكَ وليمَةً عظيمة."

أعطَتهُ موعداً في مكانٍ مُحَدَّد، وأضافَت:

- "انتَظِرني حتَّى منتصَف اللَّيل، وسوف آتي دون الحاجة لأن تُناديني".

كان العاشِقُ في قِمَّةسعادته لاسْتِلامه تلكَ الرِّسالة. وبلَّغ جَميع أقَارِبه وعائِلَته وأَصدِقَائه بتِلكَ الأَخْبَار. حيثُ أراد مشاركة سعادته مع الجميع، وتصدق على جميع الفقراءِ بالمدينة، وأعطاهم الخبز واللحم.

وأخيراً، حين أتت اللحظة المنتظرة، ذهب إلى الموقع الذي حدَّدَتهُ محبوبَتُهُ، وانتظر. انتظر لبعض الوقت، مُتَقَلِّقاً بعض الشيء، ولكن صابراً رغم كلِّ شيء.

وبينما مرَّ الوقت، سقط نائماً في النهاية.

وفي الليل، وصَلت المحبوبة، وافيةًبعهدها. ولكنَّها وجدت حبيبها مستغرقاً في نَومٍ عميق !مزَّقَت جزءاً من قماش ثوبها، ثم قامت بلفِّ بعضٍ من الجوزِ في قطعة القماش، ووضعت كل شيء في جيب الثوب الذي يرتديه الشاب.

وعندما حل الفجر، استيقظ العاشق، وقام يَبحَثعن محبوبَتِه، ولكنه لم يَجِدها. حين شعَر بالصُّرَّة الموجودة بجيبه، وضع يده وأخرَج الهدية التي مُنِحَت له أثناء نومه. نظر لحبَّاتِ الجوز وقطعةِ القماش، ثم صاح:

- "محبوبتي أكثر اخلاصاً وتماسكاً مني! إن كنتُ متألِّماً، فإنَّهُ خطأي ".

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- من يُهيمِن على العلاقة في تلك القصة؟
- هل العاشق شخص ضعيف؟
- لماذا يعجب الجميع بثبات واستمرارية العاشق؟
- ما الدور الذي يلعبه الأمل في تلك العلاقة؟
- لماذا يريد العاشق مشاركةسعادته مع الجميع؟
- لماذا أشارت الرسالة إلى عدم "الحاجة للمناداة"؟
- لماذا غطَّ العاشق بسرعة في النوم؟
- ما معنى هدية المحبوبة؟
- لماذا يلوم العاشق نفسه علفشل في اللقاء؟
- هل المحبوبة شخصية حقيقية؟

تأمل

- هل نختار من نحب؟
- هل يعد الاستمرارية دائماً ميزة؟
- هل يمكن للظروف أن تكون حجة؟
- هل يساعد الأمل على الحياة أم يمنعها؟
- هل نحب الحب أم نحب الأشخاص؟
- في الحب، هل علينا قبول كل شيء من الأخر؟
- هل دائماً نتوقع شيئاً عندما نحب؟
- هل يمكن للحب أن يجردنا من مواردنا؟
- هل يوجد أنواع مختلفة من الحب؟
- هل يجب أن نحب كي نعرف؟

٢٠/ القيم والتافه

هل من الصعب التفكير؟

دَعَى ملكٌ في يوم مستشارَه، وهوحكيمٌ صوفي، وسأله في معضِلةٍ قائلاً: "قدرة التفكير الحكيم تتجلى في الفُرقان، وبخاصة بين البدائلِ المُتَقارِبَة. وهناك معضلةٌ تُؤَرِقُني، هل أعمل على زيادة معرفة الناس، أم أُعطيهم طعاماً أكثر؟ علماً بأنني في الحالتين سوف أنفعهم.

ردَّ الحكيم قائلاً، "مولاي، ولماذا تُعطي المعرفة لمن لا يستطيعون فهمَها؟ ولماذا تُعطي الطعامَ لمن لا يفهمون سبَبَه؟ من الخطأ إفتراض أنَّه في كلتا الحالتين سوف ينتفع الناس. فإن لم يستطع الناس هضم ذلك الطعام، أو لو ظنوا أنَّه أُعطِيَ لهم ليفسدهم، أو توصلوا لأنَّه بهذه الطريقة سيحصلون على الطعام دائماً، ستكون قد فشلت. والمعرفةُ كذلك، إن لم يستطيعوا أن يُدركو أنهم ممنوحون المعرفة، إن لم يفهموا تلك المعرفة، أو إن لم يفهموا لماذا هم ممنوحون تلك المعرفة، فلن يستفيدوا منها. إن مشكلة كتلك يجب أن تُواجَه على عدة مستويات لكي تُفهَم بطريقة أفضل. وهناك مقولة تَأَمُّلية تَصلُح لأن تكون بداية لفهم أعمق ورؤيةٍ أفضل، "أقْيَمُ شيءٍ يكون تافهاً، والتافهُ يكون أقْيَمُ شيء.""

ولكن الملك قال: "يجب عليك أن تشرح لي تلك الحقيقة وأن تُثبِتَها، فأنا لا أفهمُها."

لذلك دعى الصوفي درويشاً عظيماً لساحة القصر، وسأله السؤال التالي: "إن أتيحَ لك أن تسأل أحداً من سكان تلك المدينة أن يقومَ بتحقيقِ شيئِمهم، فماذا سوف تسأله؟ "

كان الدرويش فطناً لبواطن الأمور، فقال: "هناك رجل، تاجرٌ بالسوق،بوسعه أن يصبح غنياً جداً، وأن يقوم في الوقت ذاته بإحداثتغييرات نافعة كبربالمملكة، وأن يتقدم بالطريقة، فقط بعملٍ بسيطٍ كإعطاءِ رطلِمن الكرز لرجلٍ آخر يحتاج إليه."

شعر الملك بسعادة غامرة لسماعه تلك الإجابة، لأنه ليس من عادة معلمي الصوفية أن يكونوا واضحين أو محددين بتلك الدرجة. "فَلتُرسِلوا إليه حالاً، وسوف نَأمُرُه بما عليه فعله"، صاح الملك.

ولكن بإيماءةإعتراض، أَسكَتَ الأثنانُ الملكَ.

شرح الحكيم للملك قائلاً: "ليس بهذه الطريقة. سوف ينجح الأمرُ فقط إن تصرف الرجل طَوعُ إرادته".

ذهب ثلاثتهُم للسوق الكبير، متخفين، ومُتَجَرَّدين من ملابسهم الرسمية، حتى لا يكون لهم أدني تأثير على قرار التاجر. اقتربوا من مَتجرِه وتَفَحَّصُوا فاكهته كزبائن معتادين. أخبر الدرويش الملك أن عليه لعب الدور الرئيسي، فاقترب من التاجر وحيَّاه ثم قال: "أعرف رجلا فقيرا لا يملك أي شيء. هل يمكنك، من باب الإحسان، أن تهبهُ رطلا من الكرز؟"

ضحك التاجر بشدة قائلاً: "لقد رأيتُ الكثيرَ من المُخادعينَ في حياتي، ومرَّت عليَّ جميع الخدع، ولكن تلك خدعةٌ لم أسمع بها من قبل. شخص يريد الكرز ويُدنِّي من نفسه بسؤاله إياي رطلاً من الكرز كي يعطيه -كما يُفترض- لشخصٍ آخَر، مُدَّعياً أنَّه يفعل ذلك من أجل الإحسان. تلك خدعةٌ جيدة."

فَرَحَل الرجال الثلاثة.

قال الحكيم: "هل رأيت ما كنت أتحدث عنه؟ رجلٌ قيِّم أعطى اقتراحاً قيماً جدا. والأحداث أثبتت أن الأمر كله كان بلا قيمة للرجلِ الذي كان مُوَجَّهاً إليه."

نظر الملك إليه مفكراً بعمق، ثم سأل: "فماذا عن ما هو تافه ولكنه في الحقيقة قَيِّم؟" أشار الحكيم للملكِ بأن يتبعه للنَّهر. وعندما وصل ثلاثتهُم لِضفَّتِهِ، قام الرجلان فجأةً بالإمساك بالملك وألقوه في الماء،

بالرغم من معرفتهم جيدا أنَّه لا يستطيع السباحة. ظل الملك يختنق ويكافح ضد التيار، وكاد أن يغرق، لولا أن رآه أحد المتشرِّدين المجانين، الملقب بـ"العم المجنون"، وهو أحد البسطاء المعروفينالذين يهيمون دائماً في شوارع المدينة"، فَقَفَزَ فوراً في النَّهر وأخرج الملك سليماً معافى إلي ضِفَّةِ النَّهر. كثيرٌ من المارَّة، أكثر قوةوقدرة من الرجلِ المُشَرَّد، رأوا الملك يتخبط ويتقلب في المياه العميقة ولكن لم يُحَرِّك أحد منهم ساكناً ليُساعده.

الملكُ الذي كاد يغرق، أَخَذَ بعض الوقتِ ليتعافى من مشاعرِ اقترابَه من الموت، وعندما هدأ، أَخبَرَهُ الرَجُلان بصوتٍ واحد، "تأمل كيف أن ما هو تافه، في الحقيقة قَيِّم."

عندها عاد الملكُ لطريقَتِهِ المُعتادة ،وهي إعطاء ما يستطيع إعطاءُه من تعليم، مساعدة، أو أي شيء آخر، بأي شكلٍ كان، حالة بحالة، طبقاً للظروف، إلي من يعتقد أنَّهم أحَقُ بِتَلَقِّي مساعدته.

بعض الأسئلة للتعمق والإطالة

استيعاب

- ما المغزى من السؤال عن بديلٍ واضح؟
- ما الفَرقُ بين "الإطعام" و"إعطاء المعرفة"؟
- لماذا لم يوافق الحكيم الصوفي على سؤال الملك الأول؟
- لماذا اقترح الحكيم مفارقةً كبداية لفهم المشكلة؟
- لماذا المعرفة بـ"بواطن الأمور"، مُهِمَّة؟
- لماذا وجب على الملك عدم الإفصاح عن الـ"سر" للتاجر؟
- لماذا لا يستغل التاجر الفرصة التي أُتيحَت له؟
- لماذا كان الرجلان الحكيمان عنيفين مع الملك؟
- لماذا ينقذ مجنوناً الملك؟
- ماذا تعلَّم الملكُ خلال مُغامرته؟

تأمل

- هل يجب أن نَفْهَمَ طبيعة أي تَبَرُّع والنية من ورائِه قبل أن نَقْبَلَهُ؟
- هل يجب على المُعَلِّم معرفة تلميذه جيداً كي يُعلمه؟
- هل المعرفة أغلى من الطعام؟
- هل كل الأسئلة تَتَضَمَّن افتراضات مُسبَقَة؟
- هل المظاهر دائما خادعة؟
- هل هناك حقا "بواطن للأمور"؟
- هل يمكن أن يحدث تعليم بدون عنف؟
- هل الحقيقة ذات طبيعة متناقضة؟
- ما هي وظيفة الفُرقان؟
- هل نحن مسئولون عن نظام العالم؟